الأنهار

مجلة سياسية ثقافية عامة العدد ٤١ لعام ٢٠٢٣

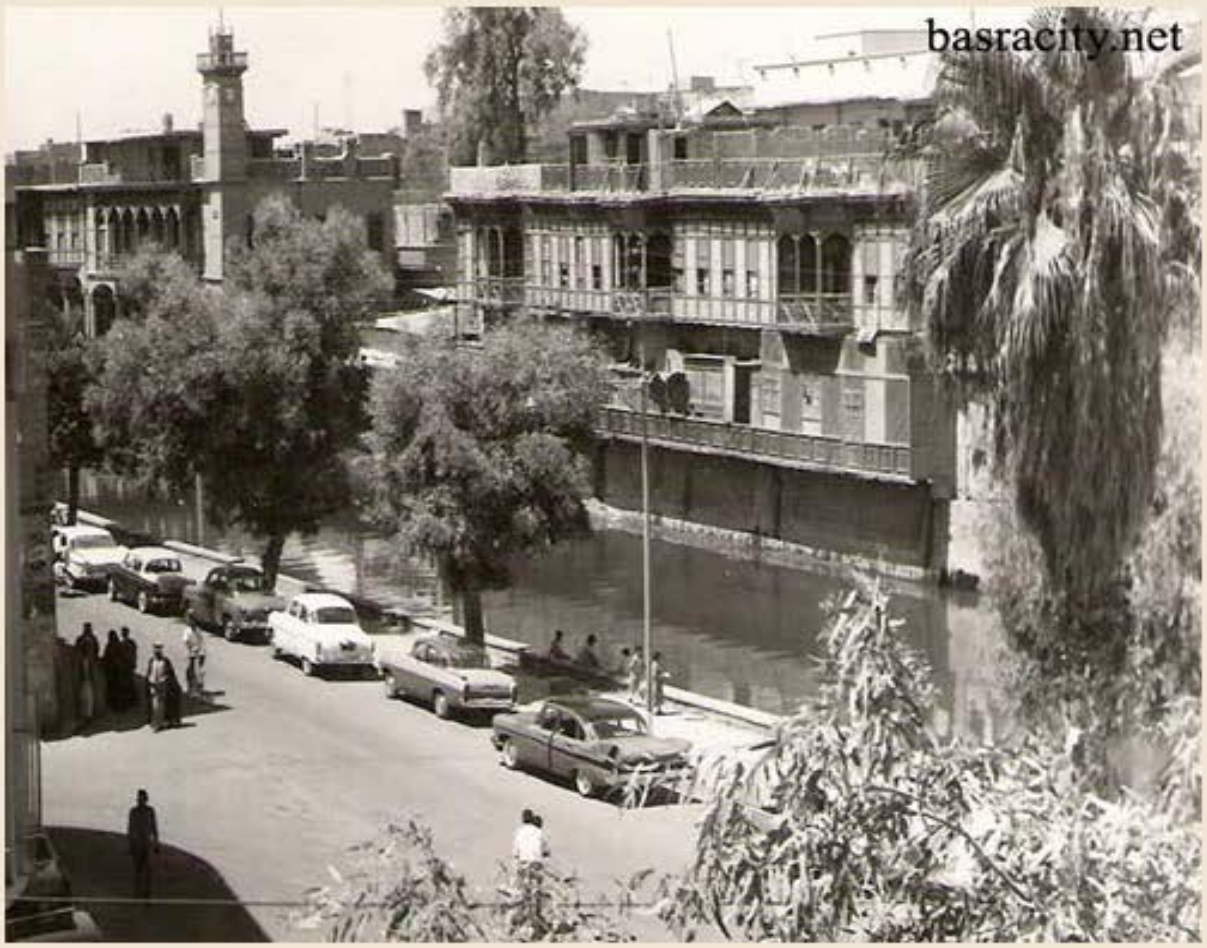

نهر العشار وشارع الساحل وتظهر ساعة سورين . الصورة عام ١٩٦٠

الغـــــــد

العدد ٤١ - ٢٠٢٣

مجلة فصلية سياسية ثقافية عامة

تصدر عن محلية البصرة للحزب الشيوعي العراقي

▼ رئيس التحرير

قاسم حنون

▼ مدير التحرير

باسم محمد حسين

▼ هيئة التحرير

عبد السادة البصري – محرر أدب وفن

جلال عباس

حافظ الجاسم

▼ مراسلو الخارج : كريم السلمان

▼ التصميم و الإشراف الفني

د. نداء عادل الربيعي

للتواصل مع هيئة التحرير .. على العنوان التالي

alghad.basrah@gmail.com

كافة المواد المنشورة تعبر عن آراء كتابها

افتتاحية العدد

غزة ... التي تتوهج في الظلام

بعد خمسين عاما من حرب تشرين التحررية وفي ذكراها نشرت حكومة الاحتلال الصهيوني وثائق تكشف عن هول المفاجأة التي صدعت قادة اسرائيل وهم يتلقون اندفاعة القوات المصرية وعبورها قناة السويس وتحطيم جدار بارليف، ولا تنسى الوثائق التذكير باختراق جهاز المخابرات الإسرائيلي للحلقات العليا في المنظومة السياسية والإيحاء بتواطئها لصالح هيبة ومنعة الكيان الاستيطانيـ ورغم ذلك فقد تهاوت بوضوح أسطورة "الجيش الذي لا يقهر" وقدرته على إلحاق الهزيمة بالجيوش العربية. وخلال الأعوام السابقة تكشفت عربدة إسرائيل في اعتداءاتها المتكررة على سوريا ولبنان، وإيغالها في نهج عدواني سافر ضد المطامح التحررية للشعب الفلسطيني، ومطالبته المشروعة بحل الدولتين، وإقامة دولته الوطنية المستقلة على أرضه المحتلة. وبينما تنتهك إسرائيل الأعراف والقوانين الدولية وتتجاهل قرارات مجلس الأمن ذات الصلة، فإنها تقدم نفسها للرأي العام في أوروبا وأميركا كما لو أنها واحة للديمقراطية وحقوق الإنسان، وامتداد عضوي للحضارة الغربية، فيما تقدم بممارستها اليومية ضد الفلسطينيين الدليل على عنصريتها ومعاداتها الصريحة، وهي تروج عبر التمدد الاستيطاني حقها في قضم أرض فلسطين لصالح خرافة توراتية عن أرض الميعاد، وهي خرافة تقدم المسوغ للمشروع الامبريالي في إقامة قاعدة متقدمة تتربص بالنضال التحرري لشعوب الشرق الأوسط، وتطلعها للانعتاق من شروط الهيمنة والابتزاز والتوسع الاستعماري، ولعلها تتكئ على ما أنجزته الصهيونية العالمية بالتنسيق مع مراكز صنع القرار في المعسكر الغربي، من نسج هالة تقترب من الأسطورة حول مذابح اليهود في الحرب العالمية الثانية على أيدي النازيين في ما أطلق عليه (الهولوكوست) حتى وصل الأمر إلى تجريم من ينكر تلك المذبحة أو يقلل من رقم ستة ملايين يهودي قضوا في المذبحة كما يزعمون، أو الإساءة لإسرائيل.
وإذ تدين البشرية تلك المذابح التي اقترفتها النازية؛ إلا أن التجربة المستخلصة تتطلب إدانة كل وسائل الإبادة والتطهير العرقي والفصل العنصري. فقد حفلت ممارسات حكام تل أبيب بأشكال التمييز والعقوبات الجماعية والتعدي على المقدسات، ما يستفز السكان المدنيين. وقد أدى ذلك إلى إشاعة أجواء التوتر والكراهية بين العرب واليهود يغذيها هوس المستوطنين، وتطاولهم على كرامة الفلسطينيين، وانتهاكاتهم المستمرة، بينما تقف الآلة الحربية الصهيونية والمحاكم الإسرائيلية كمظلة للممارسات العنصرية، والتوسع الاستيطاني على حساب الأراضي الفلسطينية. وتقف السلطة الوطنية الفلسطينية عاجزة عن التصدي للعنت الصهيوني، وتنفيذ ما تم الاتفاق عليه في مفاوضات أوسلو ١٩٩٣، رغم ما قدمه المفاوض الفلسطيني من تنازلات لتحقيق حلم العودة، ولو بشكل مبتسر محدود في ظل اختلال المعادلات إقليميًا ودوليًا آنذاك...

لقد كان من ثمار سياسة التوسع والاستيطان التي تمارسها إسرائيل منذ أكثر من ٧٥ عامًا بناء الجدار العازل بين المستوطنات الإسرائيلية والأحياء الفلسطينية، في ما أطلق عليه غلاف غزة، وهو يذكر بممارسات العنصريين في جنوب إفريقيا، وسياسات الـ"أبارتهايد" والفصل العنصري، الذي تمثل النازية نموذجه الأعلى، بينما تقتفي الضحية خطى الجلاد، وتبتكر من الوسائل والتقنيات ما يجلب العار لا الفخر كما تزعم المؤسسة العسكرية والاستخبارية الإسرائيلية. تكلف الجدار العازل نحو مليار ومئة مليون دولار، واستغرق عدة سنوات، وبني وفق مواصفات هندسية تضمن عدم تسلل الفلسطينيين إلى المستوطنات، وذلك ببناء أساسات كونكريتية مسلحة تصل إلى عشرة أمتار تحت الأرض، بينما ترتفع إلى ستة أمتار فوق الأرض، وهي مزودة بأجهزة استشعار وإنذار مبكر ومنظومة اتصالات متقدمة، تضمن عدم الاقتراب من الجدار أو التسلل إلى داخل المستوطنات، حتى عدّ مفخرة العسكرية الصهيونية. ومثل ما تحطمت خرافة حصن بارليف في حرب أكتوبر ١٩٧٣ بفعل جسارة وقدرات المقاتلين المصريين، فإن العملية التي نفذتها حركة حماس في صبيحة السابع من أكتوبر ٢٠٢٣ فضحت إفلاس المخطط الصهيوني إزاء النزوع التحرري والإنساني لشعب مضطهد، ومكبل بالقيود والشروط اللا إنسانية. ففي غزة تبلغ أعلى كثافة سكانية في مدينة لا تزيد عن ٤٠٠ كم٢ وهي تستوعب أكثر من مليوني إنسان، وأكثر من ٧٥% من

وتفتك البطالة بنحو ٥٠% من أبنائها، فضلاً عما يتعرضون له من حيف وإذلال على يد المستوطنين والشرطة الإسرائيلية، ولقد كانت عملية (طوفان الأقصى) مغامرة شجاعة ضد الفاشية الصهيونية المدعومة من الغرب، وهي تمثل خطوة متقدمة في الانقضاض على أوكار الاستيطان الصهيوني. ورغم المسعى الخبيث والمدروس للإعلام الإسرائيلي والأميركي في التهويل من خطر حماس بوصفها حركة (إسلامية) متشددة تقترن ممارساتها وأفعالها مع ممارسات وأفعال تنظيمي "القاعدة" و"داعش" ولكنها لم تستطع أن تقدم الدليل على رقي المشروع الصهيوني الإحلالي، المدعوم إمبرياليًا؛ فها هو جيش الاحتلال يستهدف الأحياء المدنية والسكان الآمنين والمدارس والجامعات ودور العبادة، ويقطع الماء والكهرباء والاتصالات، ويتبنى بإصرار سياسة الأرض المحروقة، والتدمير الممنهج لمدينة غزة، بقصد تهجير أهلها واختلاق نكبة ثالثة...

الفاشية الصهيونية لن تمرّ

النصر للمقاومة الفلسطينية الباسلة!

الشيوعي العراقي يحيي مقاومة الشعب الفلسطيني الباسلة وتصديه للاحتلال الاسرائيلي الغاشم

يتصاعد العدوان الإسرائيلي الغاشم على قطاع غزة في رد هستيري على العملية الجريئة التي نفذتها المقاومة الفلسطينية ضد قوات الاحتلال الصهيوني ومستوطنيه. وبلغت حصيلة هذا العدوان حتى وقت إعداد هذا التصريح ١٩٨ شهيدًا ومئات الجرحى.

وجاء تصاعد المقاومة الشعبية الفلسطينية ردًا مشروعًا على الجرائم البشعة التي واصلت حكومة نتانياهو الفاشية وقوات الاحتلال وعصابات المستوطنين ارتكابها ضد الشعب الفلسطيني في الضفة الغربية والقدس، وشملت الاقتحامات المتكررة للمسجد الأقصى والاعتداءات على المقدسات المسيحية والإسلامية، وراح ضحيتها العشرات من المدنيين الأبرياء بضمنهم النساء والأطفال. وتؤكد تطورات هذا اليوم مرة أخرى الحقيقة الثابتة، بأن لا أمن واستقرار في منطقة الشرق الأوسط إلاّ بإنهاء الاحتلال الإسرائيلي البغيض، وحصول الشعب الفلسطيني على كامل حقوقه المشروعة في تقرير المصير والحرية والعودة والاستقلال، وفي إقامة دولته الوطنية المستقلة وعاصمتها القدس.

كما أن هذه التطورات تؤكد مجددًا الانحياز السافر للولايات المتحدة وحلفائها إلى إسرائيل، ودعمهم اللامحدود لها، وتعطيل تنفيذ قرارات الشرعية الدولية، لتواصل احتلالها وجرائمها بحق الشعب الفلسطيني. وتفضح زيف المواقف المخزية للأنظمة العربية المنخرطة في مسلسل التطبيع المذل، وتمثل صفعة قوية لها.

إن حزبنا الشيوعي العراقي يرفع صوته عاليًا بالتضامن مع الشعب الفلسطيني ومقاومته الشعبية الباسلة للاحتلال الصهيوني. ويدعو كافة القوى الوطنية العراقية للتعبير عن تضامنها مع هذا النضال الفلسطيني البطولي، ولتقديم المزيد من الدعم له. كما يطالب الحكومة العراقية بالتحرك العاجل على المستويين العربي والدولي، للتضامن مع الشعب الفلسطيني وحمايته ووقف المجزرة التي يواصل الاحتلال الإسرائيلي اِقترافها بحق قطاع غزة، وردعه عن تنفيذ المزيد من الجرائم في الأراضي الفلسطينية المحتلة.

عاش نضال الشعب الفلسطيني والظفر لمقاومته الشعبية الجسورة.

المكتب السياسي

الحزب الشيوعي العراقي

رؤى وأهداف تحالف قيم المدني ٢٠٣ في البصرة

يسعى تحالف قيم المدني ٢٠٣ الى تمثيل الأهداف والمبادئ التي تكافح من أجلها القوى المدنية والديمقراطية لبناء دولة المواطنة وتحقيق العدالة الاجتماعية، عبر بناء مقومات ومرتكزات الدولة العراقية وتعزيز هيبتها ازاء التحديات الداخلية والاقليمية، واذا كانت مجالس المحافظات في تجارب سابقة قد قدمت أداءٌ يتسم بالتقصير والفشل في تأمين احتياجات المواطنين والنهوض بقطاع الخدمات، وتحولت الى بؤر للفساد والتهافت على المغانم واقتسام الموارد لحساب ممثلي القوى والأحزاب النافذة فيها، ما جعلها في مرمى انتفاضة تشرين حيث طالب المنتفضون بإلغائها، إلا أن المهمة الملحة هي إعادة بناء مجالس المحافظات على أسس جديدة وتبني رؤية استراتيجية في اعمار البنى التحتية وتحديثها والإفادة من الموارد المتاحة في النهوض بمستوى حياة الشعب...

- وضع خطة طويلة الأمد لمدة أربع أو خمس سنوات لاعمار مركز المحافظة والأقضية التابعة الى جانب خطط سنوية وتبني آلية فعالة للمتابعة والتنفيذ.

- وضع استراتيجية فعالة لمكافحة الفساد وتفعيل دور ديوان الرقابة المالية وهيئة النزاهة والتصدي لممارسات هدر المال العام واحالة المشاريع الكبرى على وفق معايير وضوابط ترعى المصلحة العامة أولاً ومبدأ الشفافية.

- اعتماد مبدأ الكفاءة والنزاهة والإخلاص في تولي الوظائف العامة والمسؤوليات في جهاز الدولة بعيدا عن المعايير الحزبية والحسابات الضيقة.

-الإفادة من وجود الشركات الأجنبية العاملة في القطاع النفطي في تطوير البنية التحتية وخاصة في مجال الصحة والتعليم والمرافق الخدمية

- الاهتمام بالشباب واشراكهم في الشأن العام، وتنمية وتوظيف طاقاتهم في الابداع والبناء ومعالجة البطالة وتوفير فرص عمل تتناسب ومؤهلاتهم

- ايلاء الطفولة والعائلة البصرية اهتماما وتوفير المستلزمات والشروط الحضارية الضامنة على أن يكون لمؤسسات الدولة دور مؤثر وفعال

- مكافحة المخدرات حيث تحولت البصرة الى منفذ لتسرب المخدرات والاتجار بها وتزايد نسبة المتعاطين في أوساط الشباب وتحولها الى خطر يفتك بالمجتمع ويتسبب بارتفاع معدل الجريمة..

- مكافحة التلوث الناجم عن استخراج النفط وانبعاثات الغاز في الحقول النفطية وتسببها بانتشار أمراض السرطان والحساسية والأمراض المختلفة في مناطق شمال البصرة

- الاهتمام بالقطاع الزراعي ودعم الجمعيات الفلاحية وتعزيز دور الارشاد الزراعي في توفير التجهيزات الزراعية والأسمدة ومتابعة ما يواجه القطاع من تحديات ومشكلات وتحويل البصرة الى سلة غذاء تؤمن حاجة أبنائها والمحافظات الجنوبية

-اعادة تأهيل المنشآت الصناعية الحكومية (الحديد والصلب، البتروكيماويات، الأسمدة، ...) لغرض اسهامها في عمليات اعادة الاعمار وتحويلها الى ركائز في النهضة الاقتصادية والتصدي لمحاولات تعطيلها وتحويلها الى عبء ثقيل على كاهل الموازنة الاتحادية وتعزيزها بالتقنيات الحديثة لمواكبة التطور في الصناعة.

- الاهتمام بقطاع التربية والتعليم في مراحله المختلفة (رياض الأطفال، الابتدائي، المتوسط، والإعدادي) وتنشيط دور الاشراف التربوي والاختصاصي في مراقبة أداء الادارات الدراسية في القطاعين الحكومي والأهلي، والتركيز على القطاع الحكومي الذي يمثل الجانب الأكبر في العملية التربوية..

- تمثل مشكلة ملوحة المياه في البصرة واحدة من التحديات الكبرى التي تواجه أبناءها وكذلك المتصدين للمسؤولية فيها، ولعل ما جرى في صيف ٢٠١٨ وعجز الحكومة الاتحادية والمحلية عن معالجتها يتطلب منظورا استراتيجيا لمنع زيادة الملوحة وتسرب مياه شط العرب الى البحر ما يلحق ضررا فادحا بحياة البصريين ومصادر رزقهم وعيشهم، والاستعانة بالخبرات الأجنبية في معالجة هذه المشكلة.

- التصدي لمشكلة النزاعات العشائرية التي كانت ولسنوات خلت احدى تحديات الوضع الأمني وعدم الاستقرار في البصرة وهي تمثل الإطار الناظم للسلاح المنفلت والاساءة للأجهزة الأمنية وتصدع هيبة الدولة وتؤدي الى خلق بيئة غير آمنة للاستثمار الأجنبي والمحلي.

- تأتي البصرة في المرتبة الثانية بعد بغداد من حيث عدد التجمعات العشوائية، وقد مضى على بعضها أكثر من عشرين عاما، وهي تشوه وجه المدينة وتتسبب بمعاناة آلاف العوائل القاطنين فيها، اذ لا تتوفر الشروط الصحية والانسانية ما يحتم معالجتها بتخصيص قطع أراض سكنية ودعم مشروع اسكان دور واطئة الكلفة أو أن يقوم المصرف العقاري وصندوق الاسكان بتمويل بنائها ضمن مشروع وطني طموح لحل أزمة السكن..

- دعم مشروع ميناء الفاو الكبير لما له صله بنهضة وتنمية البصرة والاسهام في مراقبة انجاز المشروع الذي تواطأت الحكومات المتعاقبة منذ أكثر من عشر سنوات على تعطيله والخضوع لإملاءات قوى اقليمية ودولية.

- الاهتمام بالمنافذ الحدودية في البصرة وتحويلها الى واجهة حضارية تليق بالعراق ومكافحة الفساد والمحسوبية فيها بالتنسيق مع هيئة المنافذ الحدودية ووزارة الداخلية ولتكون احدى مصادر دخل المدينة

-البصرة حاضرة الثقافة والابداع في الآداب والفنون، وفيها مرافق سياحية ما يتطلب الاهتمام بالمؤسسات الثقافية (اتحاد الأدباء والكتاب في البصرة، جمعية التشكيليين، قصر الثقافة والفنون، نقابة الفنانين...) ودعم الفعاليات الثقافية وصيانة المباني التراثية والاهتمام بالآثار.

السياسة

تأملات في الديمقراطية ومآلاتها في العراق

قاسم حنون

في كتابها (أسمى مراتب الشرف) تشير وزيرة الخارجية الأمريكية الأسبق كونداليزا رايس الى ما جرى في العراق في لجة الصراع المرير بين قوى السلطة وأعدائها وخلفياتها الثقافية والسياسية بالقول: لقد خططنا وخططنا واختبرنا خططنا في ألعاب الحرب ولكننا لم نقم بعمل جيد بما يكفي لنفكر بالذي لا يمكن توقعه، وفي موضع آخر تقول ليس لدي الثقة أن يفعل العراقيون ما ينبغي فعله لوقف العنف ضد بعضهم ولم أعرف ما اذا كانوا يفتقرون للرغبة أو القدرة أو ربما الإثنين معا على وضع حد لإراقة الدماء وبصريح القول بدأت أتساءل في ما اذا كان الزعماء العراقيون مصممين على الانتحار وجرّ بلادهم التي تحررت أخيرا معهم نحو الانتحار. هكذا اذن ولدت الديمقراطية في لجة الحرب وفي ظلال الماكنة الحربية الأمريكية وحلفائها الأطلسيين، وفي فضاء سياسي وثقافي تدفع به الحركات الأصولية والسلطة الروحية متمثلة في المرجعية الشيعية تقترح (العملية السياسية) التي دشنتها سلطة الاحتلال بالتواطؤ مع قوى محلية واقليمية أسئلة ومقاربات عن المآل الذي انتهت اليه، وما تسببت به من أضرار فادحة بالبنية السياسية والثقافية، والكيفيات التي يتخذها مجتمعنا في غمرة صراع غير مسبوق على مغانم السلطة وعلى النفوذ والثروة ،في ظل معدلات فساد غير مسبوق، ثمة احتدام في المشاريع والرؤى التي يسعى اليها الفرقاء ومن يقف وراءهم ،بينما يحتفظ العراب الأكبر (الولايات المتحدة) بقسط وافر من حرية التحرك والمناورة استنادا الى قواتها المسلحة المنتشرة في البلاد ونفوذها في المسرح الدولي ... هل ستفلح الولايات المتحدة في مغادرة صفحات ماضٍ غير محمود في كثير من بقاع العالم؟ هل ستكون وفية لمشروعها في بناء الديمقراطية كما حدث في المانيا واليابان بعد الحرب العالمية الثانية في إطار المجابهة الاستراتيجية مع السوفييت في حقبة الحرب الباردة؟ أم هي أوهام روّجها صقور واشنطن من المحافظين الجدد وتلقفها ليبراليون عرب وعراقيين بغباءٍ فاضح؟ لماذا يحظى التيار الإسلامي بالرعاية والتمكين من قبل الولايات المتحدة وحلفائها للإمساك بالسلطة وادارة (التحول الديمقراطي) بينما تستعر الإسلاموفيا في بلدانها؟ لقد أخفقت الولايات المتحدة في أن تكون صورتها في الشرق الأوسط إلا راعية لنموذج استيطاني اِحتلالي ملفع بوعود توراتية عن أرض الميعاد، وهو ما شجع على ظهور وتنامي أصولية إسلامية إزاء غطرسة وعنت الدولة العبرية المدعومة إمبريالياً بينما ديمقراطيتها

في لجة العنف والتسلح والهوس الديني الذي يتلبس أحزاب وتكتلات تحوز على مقاليد السلطة مثل الليكود وشاس واسرائيل بيتنا، ربما يكون مسار الصراع العربي الإسرائيلي لعقود مضت من أهم أسباب تعثر مسيرة النهضة والحداثة في مجتمعاتنا وانسداد آفاق المشروع التحرري وارتداد النخب الحاكمة وانغلاقها في نسق ميتافيزيقي حول العروبة والإسلام والمستقبل، وتحول الدولة (العلمانية) القومية الى كابوس ثقيل يذكر بأسوأ النظم الشمولية، حيث قدمت التجربة البعثية في العراق صورا نادرة للقهر والعسف ضد أبناء الشعب من مختلف الطوائف والأعراق فضلا عن قهره الخصوم السياسيين أحزابا وأفرادا، صور شتى من المعاملة الوحشية والقهر المنظم الذي كان حصيلته عشرات الآلاف من الشهداء والمغيبين وقائمة ماتزال مفتوحة للمقابر الجماعية وخراب شامل في البنية التحتية بفعل الحروب العبثية وتعثر دورة الإنتاج وتخلف قطاعات الاقتصاد الوطني ونزيف مستمر في الموارد المادية والبشرية، لقد عملت أجهزة الدولة بالتلاحم مع جهاز الحزب على تمزيق الكيان الاجتماعي وادماج الهويات والتمايزات في مركب طغياني يسلب الحياة الانسانية روحها وطاقتها الخلاقة لصالح ايدلوجيا النظام التسلطي وأهدافه ... ولابدّ من الإشارة الى ظروف نشأة الهامشية او الشعبوية وملامحها في الحياة الاجتماعية والسياسية بالارتباط مع الاضطراب السياسي بعد ثورة تموز ١٩٥٨ وحتى اليوم، وهي ظاهرة انعكست فيها جدلية التاريخ وتناقضاته الصارخة ،ما يحيلنا الى ضرورة دراسة مكونات المجتمع العراقي ومسارات تشكل فئاته وقواه الفاعلة، لقد ألقى المهمشون بظلالهم على السياسة على نحو جليّ، سواءً على صعيد تشكل النخب السياسية أو حركة الشارع، ويمكن تقديم امثلة حيّة على اندفاعات الهامشية وتغلغلها وتحولها جنوبا تارة وغربا تارة أخرى، فاذا كانت الفترة التي أعقبت الثورة الوطنية قد شهدت حضورا لافتا للفئات المهمشة في النقابات والأحزاب والشارع السياسي وأثرها على مسار الثورة وتوجهاتها ومقارفة قادتها لأوهام في بناء السلطة والمجتمع السياسي (الدولة) نأت عن استحقاقات المرحلة التاريخية والمتطلبات الضرورية لمجابهة قوى الردة ورهانها على عفوية الجماهير وتقييد حرية العمل السياسي وارتهانها لنزعة فردية هوجاء كان ثمة نوع من التحالف غير المعلن بين العسكر والمهمشين الى الحد الذي أطلق فيه أحد الباحثين على ثورة تموز ١٩٥٨ (ثورة المتريفين) ،وقد عبرت بعض الحوادث والظواهر عن اختراق الهامش وركوب فئاته موجة السياسة بتقلباتها الدراماتيكية لتحقيق ذاتها وانخراطها في الفعل التاريخي لصنع الأحداث وصياغة المستقبل، مهمشو العاصمة النازحون من الجنوب كانوا حاملين لرايات الثورة والأفكار الجديدة والتمرد على ما هو سائد، لفرط ما برّح بهم سوء المعاش والتفاوت الطبقي المريع واهمال الإدارة الحكومية لأوضاعهم المعاشية القاسية، وبسبب ميزان القوى المجتمعية والسياسية وعلو نبرة اليسار آنذاك فقد كانوا ينطقون بأفكاره وشعاراته، وليس غريبا أن يكونوا قاعدة الثورة ورهانها ووقودها في الصراع مع قوى الثورة المضادة وصولا الى انتكاستها بالانقلاب الفاشي في ٨ شباط ١٩٦٣.. وما جرى بعد الانقلاب الثاني للبعث ١٩٦٨ كان على نحو مغاير، فقد شهدت الفترة صعود المتريفين من غرب البلاد بنزعتهم القبلية الاستحواذية وخشونة طباعهم التي وظفت لأغراض بوليسية وميلهم الجارف للتسلط، كانوا هم ذراع السلطة الغاشمة وأدواتها، وحين جرت خصخصة ممتلكات الدولة والقطاع العام لصالح المقربين من الدكتاتور، وتحولت أرض السواد الى فيء لمطامعهم ونزواتهم، وتحولت ايدلوجيا البعث ومشروعه السياسي الى منظومة مهجنة من الأعراف والقيم القبلية والعائلية وشبكة من الأقارب والأتباع المكلفين بحراسة النظام في صورة من رأسمالية المحاسيب، نشأ فصام حاد

بين المواطن والدولة على نحو خطير عبرت عنه صور العنف والإكراه والقهر من قبل السلطة، والازدراء الصامت واللامبالاة أو الاستسلام للقدر من قبل أغلبية الشعب وتجلى ذلك في حوادث النهب التي رافقت انتفاضة آذار ١٩٩١، وكذلك في أعقاب سقوط الدكتاتورية بعد الاجتياح الأمريكي في نيسان ٢٠٠٣، وهو تعبير عن الشرخ الاجتماعي والسياسي الذي يضرب بجذوره في عمق التشكيلة الاجتماعية منذ تأسيس الدولة العراقية في عشرينات القرن الماضي، حيث نشأت مخلوقا مشوها صادرا عن حلف الكولونيالية والبيروقراطية الطامحة التي نقلت ولاءها من السلطنة العثمانية الى الإدارة البريطانية اضافة الى الضباط الشريفيين معززا بمؤازرة شيوخ القبائل وملاكي الأرض والملاكين العقاريين، واذا كان مؤتمر القاهرة ١٩٢١ أقرّ ترسيمة للدولة العراقية بغياب النخب المحلية الواعية عبر رؤية وزارة المستعمرات البريطانية وأفكار الضباط السياسيين والرحالة والمستشرقين الإنكليز، فإن مؤتمر لندن للمعارضة العراقية ٢٠٠٢ الذي عقد عشية الغزو الأمريكي راعى هو الآخر مبدأ المحاصصة الطائفية ورسّخها معيارا في توصيف الواقع السياسي واعادة بناء مؤسسات الدولة، حتى بدا مجلس الحكم الذي تشكل في تموز ٢٠٠٣ تكرارا هزليا لمعايير عشرينات القرن المنصرم، وكأن ثمانية عقود من تاريخ العراق وما أنفق من طاقات وموارد ومسيرة كفاحية مضنية كانت سدى، واذا كنا نتحدث عن ركود الدولة العراقية وخراب مؤسساتها وانهيارها بسقوط النظام الدكتاتوري بسبب تعطل ديناميات التحول الاجتماعي والاقتصادي وغياب الاستقرار السياسي والتذرير الاجتماعي الذي مارسته السلطة فقد شهدنا انفلاتا شيطانيا لقوى الجريمة والنهب بعد سقوط الدكتاتورية وفي الوقت نفسه انبعاث الهويات الفرعية الصاخب والميل للاحتماء بالمؤسسة والرموز الدينية كتعويض عن غياب الدولة وسلطة القانون، مسيرات حاشدة بشعارات دينية وطقوس مبالغ فيها ومساعٍ لتكريس دور الزعامة الروحية (المرجعية) في توجيه مجرى الأحداث، موجة عارمة من الشعبوية سبق أن تشكلت في التسعينات متمحورة حول زعيم ديني ومتخذة من فريضة دينية (صلاة الجمعة) طقسا للاحتجاج والتمرد السلبي، وسيكون لهذه الموجة تداعيات وحضور صاخب في المعترك السياسي بعد سقوط الدكتاتورية، بدا الأمر وكأن ما كسبه الشعب في التنعم بأجواء الحرية في إقامة المناسبات الدينية وتنظيم الزيارات المليونية تعبير عن مشيئة الهية نفذتها الولايات المتحدة وحلفاؤها، وهو زعم يقترب من ادعاء الرئيس الأمريكي جورج بوش برعاية الرب للقوة الأمريكية، واذا كانت السياسة تعبيرا عن مصالح قوى محددة ونظرات وأفكار معينة، فإن الخطاب الديني السائد مدعوما بتنويعة من قوى الإسلام السياسي (بعضها كان من قوى المعارضة العراقية الذين حضروا مؤتمرات بيروت وصلاح الدين وفينا ولندن من ١٩٩١- ٢٠٠٢ والبعض الآخر تشكل بعد سقوط النظام بعناوين مختلفة من قوى داخلية)، يقوم على اقحام تاريخ الجماعة ومقولاتها المذهبية في سياق التعبئة النفسية والعقائدية والتجييش الطائفي لصياغة مستقبل البلاد، ليتأسس نظام المحاصصة الطائفية والأثنية بدعم ومباركة بريطانيا والولايات المتحدة وايران واستحسان وقبول الفرقاء أو (الممثلين السياسيين!) من الشيعة والسنة والكرد ومراعاة التوزيع الديموغرافي في تقاسم السلطة، وهو ما شجع على الخلط بين أتباع مذهب معين وبين قوى الاسلام السياسي سنيّة وشيعية، يتماهى فيه الحزب أو الحركة مع السلطة الروحية والطائفة على غرار النموذج الثيوقراطي لدولة ولاية الفقيه، وهو ما يعيق تشكل المجتمع المدني والتحول نحو الديمقراطية ...، إن التنوع الثقافي لمختلف الأعراق والديانات والمذاهب هو

وتميز العراق في حقب الازدهار الحضاري الذي أنتج مدارس فكرية وتيارات ثقافية، فالعراق ليس حاصل جمع الطوائف والأعراق والديانات المختلفة بل هو مركب ثقافي حضاري يعبر عن وحدة مكونات الشعب، ولا يمكن تخطي مكوناته الحضارية التي تشكلت عبر العصور ومنذ أقدم الأزمان، ما مغزى أن تشهد الحضارة العربية الإسلامية ذروة تفتحها في العراق في العصر الوسيط؟، إن الإفراط في التحدث باسم الطائفة أو القومية يعبر عن هواجس الخوف من الماضي وعن أفكار ورؤى ما قبل تشكل الدولة الحديثة والمجتمع المدني، وإن تنازع الهويات الفرعية والاستغراق في الولاء للمذهب والقومية يعرقل قيام دولة المواطنة وبناء النظام الديمقراطي ...

لقد أنتجت الحرب كمقوم اساسي في الممارسة السياسية للنظام السابق وما استتبعته بالضرورة من تبديد للموارد والامكانات المادية والقوى البشرية وما ادخلتنا فيه من نفق الحصار واعمال التنكيل والابادة ضد الشعب في انتاج منظومة ثقافية قوامها الخيبة والانكسارات وهيمنة الفكر الغيبي وتضخم النزعة الذكورية التي من نتائجها انبعاث قيم القبيلة والتقاليد البطريركية والهروب نحو الماضي والتبتل في دهاليزه المظلمة ومجافاة الحاضر بخياراته وتحدياته والتراجع عن قيم التنوير والحداثة التي عرفها شعبنا منذ عشرينات القرن الماضي، وما زالت تلك المنظومة الثقافية تهيمن على تفكير قطاعات واسعة من الشباب والنساء وسنظل لسنين طويلة اسرى ذلك التشوه والخراب المادي والروحي.... وفي مرحلة ما بعد الغزو الامريكي وتدشين (العملية السياسية) فان ضراوة المجابهة مع قوى الارهاب تطلب اعادة بناء الاجهزة الامنية والقوات المسلحة ولكن على أسس مشوبة بالتحيز المذهبي والفئوي وهو ما أدى الى ثلم الطابع الوطني للمؤسسة العسكرية والأمنية، وتفاقم هذا المسار بعد احتلال داعش لثلثي البلاد حيث نشأ الحشد الشعبي كظهير للقوات المسلحة وتحوله الى ذراع ضارب للقوى المتنفذة لا يقتصر في التزاماته ودوره على مجابهة ارهاب داعش، اذ انه حتى بعد اعلان الانتصار على داعش في ٢٠١٧، ما أدى في نهاية المطاف الى اضافة جديدة للقوات الامنية وتعزيز لعسكرة المجتمع، في ظل غياب فرص الاستثمار وتعطل عملية التنمية والبطالة المليونية، هكذا قدر للعراق أن يكون ميدان حرب دائمة سواءً في ظل النظام الدكتاتوري السابق أو في ظل تحولات النظام الحالي الذي يقوم على آليات التغيير والممارسة عبر صناديق الاقتراع التي تجري على نحو دوري، ولكن يشوب هذا التحول عقبات وتراجعات بسبب هيمنة قوى الاسلام السياسي وسعيها للامساك بمقاليد السلطة والثروة والنفوذ بعيدا عن الشفافية والمساءلة التي تفترضها الممارسة الديمقراطية ...

ثمة إشكالية في العراق بعد التغيير في لجة الخراب والنزيف المستمر والاحتقان الطائفي الذي يهدد بالتحول إلى حرب أهلية كما جرى في سنوات معينة، وأي استعصاءات وأزمات تقوض الآمال ببناء عراق ديمقراطي حر وتعددي ويهدد على نحو خطير مستقبل الديمقراطية والحريات بعد عقود من عدم الاستقرار والعسف والاضطهاد الذي طال مختلف قوى الشعب هذه الإشكالية ناجمة بالأساس عن غياب التقاليد الديمقراطية في حياتنا وشيوع ثقافة الاستبداد والتغلب والإقصاء ولقد ساعد على ذلك الرؤية المتعالية التي تميز العقل الإمبريالي في نظرته للشرق، هذه الرؤية أنتجت ثنائيات متعارضة في الستراتيجية الأمريكية على وجه التحديد:

مناهضة الإرهاب / استخدام القوة في العلاقات الدولية بما يعزز نشوء الإرهاب والتطرف والتغاضي عن إرهاب الدولة العبرية، مناهضة أصولي حماس وحزب الله/ دعم ومباركة أصولي الليكود وشاس وإسرائيل بيتنا وغيرها من المنظمات الدينية اليهودية، لقد وصل الأمر في العراق الى أزمات سياسية مزمنة بفعل التوتر على طرفي الاختلاف المذهبي والأخطاء الفادحة للاحتلال، وهي تهدد ما أنجز في المرحلة الانتقالية وتقوض مصداقية المشروع الأمريكي وتضعنا من جديد أمام أفق غامض مكتوين بعدد من الأسئلة الحارقة؟ هل ان أمريكا بصدد بناء ديمقراطية حقيقية في العراق؟ ولماذا تفكيك المجتمع إلى ثلاث كيانات سياسية هي مكوناته التقليدية فيما الديمقراطية تقوم على الإرادة الحرة وخيار الفرد المستقل للإسهام في صياغة الحاضر ورسم حدود المستقبل! لقد أفضت الرعاية الأمريكية للعملية السياسية في العراق إلى (سلق) مراحل الفترة الانتقالية من التوتاليتارية إلى الديمقراطية والإصلاح السياسي على طريقة الوجبات السريعة وما يترتب على ذلك من عسر في الهضم وضعف الشهية وفساد مزمن واضطراب وتردٍ مستمر...

منذ سقوط الدكتاتورية وقيام سلطة الاحتلال بموجب قرار مجلس الأمن ١٤٨٣ بدأ تشكل واقع اقتصادي واجتماعي وسياسي جديد، ورغم أنه لا يمكن تصور قطيعة تامة مع الماضي، وكان من الممكن أن يتخذ التحول مدى رحبا نحو الديمقراطية والاصلاح الاقتصادي والسياسي، بيد أن ما جرى قد حول العملية السياسية برمتها بسبب اللجوء الى خيار الحرب وتحديات قوى الارهاب وممارسات القوى المتنفذة والدور الذي لعبته المؤسسة الدينية في اعادة جدولة مراحل الفترة الانتقالية بما يتوافق وهدف ايدلوجي وسياسي لبناء المنظومة السياسية على أسس طائفية وعرقية، تكرس في ما بعد في الدستور الذي أقر باستفتاء ٢٠٠٥ وما أعقبه من صراع ضار اتخذ طابعا طائفيا وحفر أخاديد في الذاكرة العراقية لن تمحى ما لم يتم التأسيس لنظام ديمقراطي حقيقي يقوم على التعددية الثقافية بسياقها الخلاق والتفاعلي ومغادرة الصفحات المؤلمة في السنوات السابقة...

(وتطرح قضية الدولة الريعية التي هي ليست حاملا اجتماعيا للديمقراطية اشكالية بقدرة ومدى هذا الشكل من الدول وهذا النوع من النخب على امكانية بناء الديمقراطية في ظل واقعة أن الشغل الشاغل للفاعلين السياسيين هو الامساك والسيطرة على الريع والاستحواذ عليه بما يضمن اعادة انتاج الهيمنة والنفوذ، وبعيدا عن الهجاء فان الدولة الريعية وما تشير التجربة الملموسة تلد الاستبداد والتسلط بسبب طبيعة بنيتها والقوى التي تستند اليها حيث يحمي فيها مالك الثروة نفسه وعشيرته وأسرته والقاعدة الاجتماعية ...) كما أن (التناقضات بين الديمقراطية والاقتصاد الريعي تناقضات بنيوية وليست عابرة، انها تتعلق ببنية الدولة الريعية وطبيعتها التي لا تولد الممكنات لبناء الديمقراطية، ان الريعية النفطية تعزز السمات التسلطية في النظم السياسية حيث تكون الدولة هي المتحكم بالثروة، يمكن القول أن الريعية النفطية في مثل هذه الدول هي الاقتصاد السياسي للاستبداد)

المصادر:

- كونداليزارايس، أسمى مراتب الشرف
- قاسم حنون نحو أفق أرحب
- د. صالح ياسر، الريوع النفطية وبناء الديمقراطية

وأدوا ميناء الفاو الكبيـــــر قبل ولادته

باسم محمد حسين

أعلن السبت ٢٠٢٣/٩/٩ في نيودلهي العاصمة الهندية المضيّفة للقاء (G20) عن اتفاق أولي عن انشاء خط دولي بحري وسككي بين الهند والسعودية والامارات وفرنسا وايطاليا والمانيا والولايات المتحدة الأميركية حيث بارك رئيسها بايدن المشروع ووصفه بأنه سيغير قواعد اللعبة. هذا المشروع سيكتمل على الأكثر بعد عشرة سنوات حيث ستبنى موانئ و يتم تطوير اخرى وتشيّد محطات للسكك الحديد ومد خطوطها من الامارات الى البحر المتوسط عبر السعودية و دول شرقي المتوسط الأردن واسرائيل ومن هناك الى أوربا والأميركتين وبالتأكيد ستكون هناك ملحقات اخرى منها انشاء محطات توليد الكهرباء و مد خطوط نقلها بالإضافة الى مد انابيب لنقل الهيدروجين وكابلات لنقل البيانات بسرعة فائقة ومستلزماتها.

مشروع عملاق سيأتي بالنفع العميم على هذه الدول ودول أخرى. وغاياته متعددة فبالنسبة الى الولايات المتحدة التي ستدخل كشريك مستثمر ومنفِّذ لبعض الفقرات ستنافس الصين وبنيتها التحتية العالمية طريق الحرير الذي يربطها مع أوربا بخطوط قريبة جغرافياً، كما تريد تقريب (اسرائيل) من بقية الدول العربية التي لم تطبِّع معها لغاية اليوم.

السعودية والامارات فستكون لهما استثمارات جديدة وعوائد مادية أكثر وضمانات كبيرة للمستقبل. أما الهند فتريد تشغيل الأيادي العاملة الوفيرة والمتزايدة عندهم كما تريد تصدير منتجاتها بكلف اقل الى أوربا وأميركا بالإضافة الى دول الشرق الأوسط. أما الدول الأوربية فستحصل على منتجات رخيصة الثمن من الهند بوقت أقل بالإضافة الى الخامات الاخرى.

هذا المشروع يمثل طلقة الرحمة على ميناء الفاو الكبير، وكذلك مشروع طريق التنمية الذي جاء متأخراً جداً. حكوماتنا المتعاقبة لم تعر اهتماماً لمستقبل الأجيال بل بقيت حبيسة المنازعات الطائفية وتحاصص الموارد الوفيرة المتأتية من عائدات النفط بين المتنفذين وذيولهم.

فكرة ميناء الفاو الكبير طرحت في زمن النظام المقبور وبقية فكرة محبوسة فقط. وبعد ٢٠٠٣ تحدثتْ عنها منظمات مجتمع مدني وأعلنت عن الموضوع في اجتماعات وندوات وحددت المشروع، جاء بعدها مشروع الفقيد ابن البصرة جوزيف حنا الشيخ الذي أراد أن يقدم لمدينته البصرة هدية العمر ببناء هذا الميناء

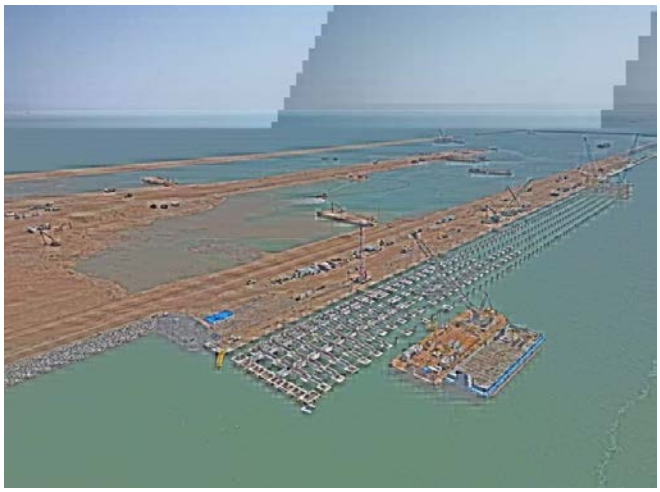

العملاق وتلحقه مستلزماته من كهرباء وماء ومدينة سكنية واخرى سياحية ومخازن ومجمعات بالإضافة الى ٩٠ رصيف متنوع الاستخدام. حنا الشيخ قدم هذا العرض عام ٢٠٠٩ وبقي يفاوض المسؤولين لغاية ٢٠١١ دون جدوى. في حينها كان العرض أن لن يتكلف العراق قرشاً واحداً بل سيبني حنا الشيخ المشروع على نفقته بالاستعانة ببنوك أوربية على ان يمنحه العراق بعد ذلك ومن عوائد عمل الميناء دولاراً واحداً عن كل طن صاعد ونازل لمدة محددة. بالتأكيد لم يرق هذا المشروع لدول المنطقة التي ستقل عوائدها المادية فحركَّت ذيولها للوقوف بوجه مشروع كان سيغير الكثير من الظروف نحو الأفضل.

كم خسرنا وكم سنخسر لاحقاً؟

كما الكثير من المختصين والمتابعين كتبت عن هذا الموضوع وأدناه الروابط.

http://al-nnas.com/ARTICLE/BMHussen/27v0.htm

http://www.al-nnas.com/ARTICLE/BMHussen/6v.htm

http://www.al-nnas.com/ARTICLE/BMHussen/9v0.htm

الغد السياسية

أهمية العلاقات الدولية المتعددة القطبية لدولة مثل العراق

علي عبد الواحد محمد

ترتبط مصالح العراق الحيوية مباشرة في دول الجوار وخاصة بدولتي تركيا وإيران، وتخضع لتقلبات مزاجيهما، ففيما يتعلق بأمر العلاقة مع تركيا فيعود تاريخها الى ما كانت عليها العلاقة مع الدولة العثمانية حينما كان العراق ولاية من ولايات هذه الدولة، والذي يعني في جوهره تبعيته السياسية والجغرافية الى تركيا وسلاطينها والى الولاة العثمانيين الأتراك، وعندما وقعت تركيا المعاهدات عند سقوط الدولة العثمانية، مع بريطانيا آنذاك بصفتها المنتصرة بهذه الحرب والمشرفة على تأسيس العراق الحديث بالرعاية البريطانية ثم تلاها الانتداب البريطاني، فكان الصراع يدور حول الموصل وكركوك والنفط في كل من معاهدة سيفر والخط الهمايوني وتمت ترضية تركيا بلواء اِسكندرون وتوابعه. وما زالت تبعات هذه المسألة قائمة الى يومنا هذا وفي تأثيراتها في السياسة بشكل عام وفي طموح الشعب الكردي والشعب التركماني، الذي تتبنى تركيا وبصراحة مصالحه السياسية والديموغرافية وحقوقه القومية. وكما معلوم إن العراق الذي يسمى تاريخيا وادي الرافدين (ميزوبوتاميا) إلا إن منابع هذين الرافدين (دجلة والفرات) تقع في الأراضي التركية وهي التي تحدد الآن الحصة المائية للعراق وتتحكم فيها بعد أن بنت السدود على هذين النهرين الأمر الذي سبب بدايات التصحر في مناطق شاسعة كانت زراعية وخضراء وباتت المسطحات المائية عذبة المياه (الأهوار) شبه جافة ما عرض الثروة السمكية والحيوانية الى خطر الانقراض، كما أن تركيا كانت قد حصلت على السماح بدخول قواتها المسلحة مسافة ١٥كيلو متر داخل الأراضي العراقية لمطاردة حزب العمال الكردستاني في العمق العراقي .

في جانب تسويق النفط العراقي المنتج في كركوك بواسطة الخط الناقل للنفط عبر ميناء جيهان التركي يرتبط العراق بتركيا وتشكل الواردات العراقية من البضائع التركية جانبا مهما من العلاقات التجارية الواسعة بين البلدين فالسوق العراقية تزخر بالبضائع التركية. وهذا ارتباط آخر بينهما، فوق كل ذلك تركيا العضو في حلف الناتو ولها علاقات متميزة مع إسرائيل فكان لذلك أثره على تذبذب العلاقات مع العراق.

وفيما يتعلق بالعلاقات العراقية الإيرانية فهي أيضا مرت بمراحل مختلفة وتوجت بمعاهدات وتداخلات مختلفة بما فيها الحروب لاسيما وقد جرت بين البلدين ما يمكن اعتبارها أطول حرب فقد دامت الحب العراقية الإيرانية ٨ سنوات من عام ١٩٨٠م الى عام ١٩٨٨م ، راح ضحيتها أكثر من مليوني شخص، وكانت خسائرها المادية والاقتصادية كبيرة ،وعندما توقفت هذه الحرب ظهر للعيان النتائج الكارثية لها وكانت مأساة أسرى هذه الحرب لا توصف ولا يصدقها العقل، وبان للعيان الخسائر التي تكبدها العراق في شط العرب والملاحة فيه فقد كان الأدلاء البحريون العراقيون قبل هذه الحرب المجنونة هم الذين يقودون السفن البحرية الى الموانئ الإيرانية وهم الذين يقودونها الى خارج هذه الموانئ الى الخليج وأصبح الأدلاء البحريون الإيرانيون هم من يتولى أمر هذه السفن في دخولها الموانئ الإيرانية وفي خروجها منها الى الخليج ، لأن حصة إيران في شط العرب أصبحت أكبر من حصتها قبل الحرب .

الآن وبعد سقوط نظام صدام حسين ونشوء النظام الجديد زادت العلاقات التجارية بين البلدين، واصبح العراق يعتمد اعتمادا كليا على إيران في استيراد العديد من السلع وأهمها الغاز الإيراني المسال لتشغيل المحطات الكهربائية العراقية، وهذه لوحدها جرت الكثير من المتاعب والأذى للمواطن العراقي جراء قطع إمدادات الغاز خاصة أيام الصيف وبحجج مختلفة ومع إيران تبرز مشكلة الماء وزيادة ملوحة شط العرب نتيجة تحويل الجانب الإيراني لمياه نهر الكرخة وحرفه عن مصبه، وتحويل مجرى نهر كارون ومنعه عن مصبه الأصلي في شط العرب، وتحويل بدله مياه البزل وجعلها تصب في شط العرب، يضاف لذلك نتائج وتبعات الحرب العراقية الإيرانية والمشاكل القديمة بين البلدين خاصة تلك المتعلقة بالحقول النفطة المشتركة.

وما يعانيه العراق من جارته الصغيرة الكويت وخاصة ما تعلق في مسألة وقوع العراق تحت البند السابع سيئ الصيت. يفوق التصور، فحصل إنه بعد تغييرات عام ٢٠٠٣م تم إقرار دولي جملة من الحقوق للكويت في ميناء أم قصر العراقي وفي خور عبد الله وفي الخليج، !ذ تم التضييق على صيادي الأسماك العراقيين وحددت مسافة تحركهم في الخليج العربي، وتم عرقلة إنشاء ميناء الفاو الكبير وكذلك المشاكل المعروفة حول الحقول النفطية المشتركة، وكذلك تعويضات العراق للكويت عن احتلال العراق للكويت عند نهاية الحرب العراقية الإيرانية .

إن كل هذه المشاكل بحثت تحت ظل مفاهيم وقواعد الحلول التي تمليها هيمنة القطبية الواحدة التي خضعت تطبيقاتها للنظريات الفاعلة في هذه القطبية الواحدة، وابرزها النظرية الواقعية الكلاسيكية البرجوازية المنشأ والتي صيغت كدروس مستخلصة من نتائج الحرب العالمية الثانية التي كان من أبرزها القوة للدفاع عن البلد والمصلحة القومية (الوطنية) في العلاقات الدولية، هذان العاملان يشكلان الأساس في هذه النظرية في العلاقات الدولية ويعبران عن انعكاس الطبيعة البشرية التي تتميز في الأنانية التي هي البحث الدائم عن إعلاء الذات عن طريق القوة المفرطة بين الأمم والمنظمات الدولية وبذلك يصبح الصراع الدائم للحصول على النفوذ والسلطة والهيمنة هو الدافع الأساسي للعلاقات الدولية، لمنع وقوع الكوارث المصطنعة والحروب لذلك يكون البحث عن أنجع الطرق للحفاظ على حالة السلم الدولي عن طريق منع القوى الدولية من التفوق على بعضها البعض فيكون السعي لإيجاد مبدأ توازن القوى والحفاظ عليه هو المنطلق والهدف الأساسي لهذه النظرية التي ترى النظام الدولي هو الفوضى ولذلك لابد من القوة وفي حدها الأقصى لأن حالة توازن القوى ليست ثابتة وفي حركة وسباق دائم.

هذه النظرية هي الفعالة في فضاء القطبية الواحدة التي تسيدت بفعل قوتها وبحثها الدائم عن القوة.

أنواع القوة

كي نتوقف على أنواع القوة لابد لنا من معرفة ماهية القوة وتعريفها

تعريف القوة: إنها القدرة على التأثير في سلوك الآخرين للحصول على النتائج التي يتوخاها المرء أو هي القدرة على جعل الآخرين يحققون ما تريد دون أن تأمرهم بذلك وهذا ينطبق على تعريف القوة السياسية.

ومع التطورات المتسارعة في بنية الرأسمالية العالمية ودخولها المتواصل كل مرافق الحياة أصبحت القوة معيارا اساسيا لتوضيح فيما إذا كانت الدول ذات تأثير في السياسة الدولية، ويمكن ملاحظة إن القوة العسكرية للدول رغم أهميتها عند اللزوم الا إنها لم تعد المعيار الوحيد لبيان قوة الدولة ، فهناك دول تعتبر قوية عالميا ولكنها لا تملك مقومات القوة العسكرية، ولكنها تملك مقومات أخرى تجعلها في قوام الدول القوية والتي لا يستغنى عنها فهي تملك القوة الاقتصادية ذات الصناعة فائقة التطور والإنتاج وربما تملك الثروة الباطنية الضخمة او لديها موقع جغرافي يجعل حاجة الأمم الأخرى اليها ماسة، وتتميز بعدد السكان الكبير او بحجم المساحة وذات قيم ثقافية مؤثرة في العالم يضاف الى ذلك طبيعة القوى السياسية التي تدير البلاد، والتي تتصرف بشكل عقلاني لحماية مصالح البلد القومية فما إن القوة إلا وسيلة غايتها تحقيق الأمن والبقاء وتمتلك ما أطلق عليه القوة الناعمة.

ولو نظرنا الى واقع حال بلدنا سوف نلاحظ عجزه عن مجاراة دول مثل تركيا وإيران والكويت في إطار المفاهيم السالفة للقطبية الواحدة ولذلك فهو إن توفرت النية الصادقة كي يلحق بالعالم عليه أن يتخلص من قيوده التي تشده الى القطبية الواحدة سياسيا واقتصاديا وتبعية معرفية واجتماعية فهو بحاجة الى التغيير الكامل في منظومته في الحكم وعليه التخلص من القوى التي سرقت الدولة وأفسدت النظام ووزعته وفق المحاصصة البغيضة والخلاص من حكم الميلشيات والسلاح المنفلت ومن مافيات التهريب بكل أنواعه ومن تقطيع أوصال الدولة ومن كل العوامل التي أدت الى إضعاف البلد وجعلته عاجزا عن حل مشاكله الداخلية والخارجية، وفي مجال العلاقات الدولية البلد يحتاج الى أن ينوع علاقاته العالمية وأن يعزز مكانته في المنظمات الدولية والعربية وأن ينفتح على الدول في العالم وعلى محيطه العربي وأن يسعى الى بعث تراثه وثقافاته القومية والترويج لها عالميا، ويهتم بالتعليم ويجعله مواكبا للتطور الحاصل في العالم ويشجع المبتكرين والمخترعين والمستكشفين وكلما يضع البلد على طريق التطور هذه الأمور وغيرها تجعل بلادنا مسموعة الكلمة قادرة على منع التجاوز على حقوقها وأخيرا وليس آخر على بلادنا أن تنظم الى المساعي الدولية الرامية الى الخلاص من الانقياد وراء تبعات القطبية الواحدة والعمل على بناء علاقات دولية متعددة القطبية التي سيحقق فيها البلد انطلاقه نحو البناء والتطور.

الغد السياسية

الاشتراكية هي مشروع لتطوير الحداثة

د. ماهر الشريف

طرح انهيار الاتحاد السوفييتي وإخفاق تجارب بناء الاشتراكية التي عُرفت باسم "الاشتراكية الواقعية" أو "الاشتراكية الفعلية"، في مطلع تسعينيات القرن العشرين، تحدياً فكرياً كبيراً أمام الماركسيين في العالم العربي، واستثار نقاشات غنية بين صفوفهم، تبلور خلالها تياران رئيسيان، اكتفى الأول منهما بالتأكيد على أن هذا الانهيار يرجع إلى "إخفاق" في تطبيق "الماركسية- اللينينية" وإلى "مؤامرة" حاكتها الدول الإمبريالية، بينما وجد الثاني منهما، الذي لم ينكر دور العامل الخارجي، أن هذا الانهيار يعبّر عن مظهر من مظاهر أزمة فكرية عامة يواجهها الماركسيون على مستوى العالم، وفرصة لإعادة النظر في تاريخ دخول الماركسية إلى العالم العربي وفي الأسباب التي حالت دون نجاح الماركسيين العرب في إعادة إنتاجها بصورة مستقلة. وسيسعى هذا المقال إلى التوقف عند مواقف هذا التيار الثاني.

دخول الماركسية إلى العالم العربي

يرى سمير أمين أن الماركسية في البلدان العربية "تُرجمت ولم تُعرّب"، و"عجزت عن إيجاد وسائل الربط بالأصول المحلية"، مقدّراً أن قضية الأصول المحلية تحتل موقعاً مركزياً في كل محاولة لإعادة إنتاج الماركسية بصورة مستقلة. فالماركسية "الأصلية" نفسها لم توجد إلا بعد استناد ماركس إلى مصادر أوروبية ثلاثة، حددها أنجلز ولينين في الفلسفة الكلاسيكية الألمانية، والاقتصاد السياسي الإنكليزي والاشتراكية الفرنسية "الطوباوية". كما كان التراث الشعبوي للحركة الثورية الروسية أحد مصادر الماركسية التي بلورها لينين ورفاقه في الأوضاع الخاصة لروسيا القيصرية.

قبل ثورة أكتوبر في سنة ١٩١٧، وتأسيس الكومنترن في سنة ١٩١٩، بقي الاهتمام العربي بالماركسية محدوداً، ومقتصراً على عدد ضئيل من المثقفين العرب، ومن أبرزهم المصري سلامة موسى (١٨٨٧-١٩٥٨)، الذي حاول الجمع بين أفكار برنارد شو الإصلاحية وأفكار كارل ماركس الثورية، وشارك في سنة ١٩٢٠ في تأسيس الحزب الاشتراكي المصري، ليكون جمعية اشتراكية غايتها نشر الوعي وتمهيد الطريق أمام الاشتراكية، لكنه رفض فكرة انضمام هذا الحزب إلى الكومنترن وتغيير اسمه إلى الحزب الشيوعي المصري.

دخلت الماركسية إلى العالم العربي عن طريق الأحزاب الشيوعية، التي راحت تتشكّل، منذ مطلع عشرينيات القرن العشرين، في عدد من البلدان العربية. وقد انشدّت هذه الأحزاب، منذ ظهورها، إلى "الماركسية السوفيتية"، بحيث تعرّفت إلى الماركسية في مرآة "اللينينية"، ولكن بعد أن كانت هذه "اللينينية" قد فقدت روحها الديالكتيكية، وتحوّلت، على أيدي ستالين، إلى عقيدة جامدة وباتت ملزمة لجميع فروع الكومنترن.

وخلافاً لما قدّره بعض المحللين، فإن انشداد الأحزاب الشيوعية في البلدان العربية إلى هذه "الطبعة" السوفيتية من الماركسية لم يكن تعبيراً عن "تبعية" فرضها "مركز" قوي وارتضتها "أطراف" ضعيفة، ذلك إن المسألة كانت، في الواقع، أعقد بكثير من هذا التفسير التبسيطي. فالأحزاب الشيوعية في البلدان العربية، مثلها مثل عشرات الأحزاب الشيوعية في مناطق العالم المختلفة، كانت مقتنعة قبل سقوط تجربة "الاشتراكية الفعلية" بأن تلك "الطبعة" السوفيتية من الماركسية كانت تجسد، ليس على مستوى النظرية فحسب بل وعلى مستوى التطبيق كذلك، "صحيح" الماركسية، وكانت متأثرة بمنطق عالمي ساد صفوف الحركة الشيوعية العالمية واستند إلى الأفكار الرئيسية التالية: إن ثورة اكتوبر، التي أقامت أول دولة اشتراكية في العالم، قد افتتحت عصراً جديداً هو عصر الانتقال من الرأسمالية إلى الاشتراكية على صعيد العالم؛ إن قيام النظام الاشتراكي العالمي، بعد الحرب العالمية الثانية، قد عزّز التحوّل المستمر في موازين القوى العالمية لصالح الاشتراكية وجعل الرأسمالية تواجه أزمة عامة ستتفاقم حدتها مع الوقت؛ إن نجاحات الاتحاد السوفيتي ومكتسبات "الاشتراكية الفعلية" قد عمقا المحتوى الاجتماعي لحركة التحرر الوطني في آسيا وأفريقيا، وجعلاها تصبح جزءاً من الثورة الاشتراكية العالمية.

لقد أدركت الأحزاب الشيوعية أن المرحلة التي تمر بها البلدان العربية هي مرحلة النضال ضد الامبريالية ومشاريعها في المنطقة، وخصوصاً المشروع الصهيوني، والتحرر من علاقات التبعية للمراكز الرأسمالية العالمية وبلوغ التقدم، وهي الأهداف التي احتواها مفهوم "الثورة الوطنية الديمقراطية" الذي تبنته. ومع أن هذه الأحزاب لم تضع هدف الاشتراكية كهدف مباشر على جدول أعمالها، إلا أنها رأت أن خصوصية هذه "الثورة الوطنية الديمقراطية" ترجع إلى "سمة العصر"، المتميّز بـ " الانتقال من الرأسمالية إلى الاشتراكية على الصعيد العالمي".

وعلى هذا الأساس، تعاملت الأحزاب الشيوعية العربية مع مفهوم "التقدم" من زاوية كونه "تقدماً اجتماعياً"، وراهنت على أن تؤدي الإجراءات التي اتخذتها أنظمة البرجوازية الوطنية، التي تحالفت مع الاتحاد السوفيتي ووصفت بـ "التقدمية"، كالتأميم والإصلاح الزراعي والتصنيع الثقيل والتعليم الجماهيري، إلى توسيع حجم الطبقة العاملة وتوليد علاقات إنتاج جديدة، بما يساهم في تجميع شروط الانتقال إلى الاشتراكية.

الماركسية تبقى حية، لكنها تحتاج إلى ترهين

بقي أنصار هذا التيار الثاني مقتنعين بأن الأزمة الفكرية العامة التي يواجهها الماركسيون على مستوى العالم لا تعني أن نقد الماركسية للنظام الرأسمالي قد فقد أهميته وراهنيته، ذلك إن الماركسية هي، في التحليل الأخير، حقل علمي وفلسفي، نقدي وتحرري، افتتحه كارل ماركس وقُدمت فيه على مدى أكثر من قرن ونصف القرن مساهمات عديدة ساهمت في كشف آليات الاستغلال الرأسمالي واجتهدت في تحديد سبل تجاوزها. ونظراً إلى أن الحياة تبقى في تطوّر دائم، فإن هذا الحقل

تسعى إلى استيعاب الظواهر الجديدة التي يشهدها عالمنا، كظاهرة العولمة المتسارعة، التي تتم في ظل تفاوت كبير يتعمق في مستوى التطور بين بلدان الشمال وبلدان الجنوب، وهي ظاهرة تختلف، في ظروفها وآلياتها، عن تصوّرات ماركس للتاريخ الذي يتحوّل بفعل الرأسمالية إلى تاريخ عالمي متجانس؛ والأطروحات الكلاسيكية عن الإمبريالية، التي خلفها كلُ من لينين وبوخارين وروزا لوكسمبورغ، لم تعد قادرة على تفسير أشكال السيطرة العالمية الجديدة، كالسيطرة التكنولوجية أو السيطرة عبر المديونية والتبعية المالية؛ كما أن التحوّلات العميقة التي طرأت على بنية الطبقة العاملة مع دخول العلم كقوة مباشرة في الإنتاج وتطوّر المعلوماتية والأتمتة ستدخل تغيّراً جذرياً على مفهوم القوى الاجتماعية التي ستحمل مشروع البديل الاشتراكي الثوري.

عجز الماركسيين العرب عن إعادة إنتاج الماركسية بصورة مستقلة

باستثناء عدد قليل جداً، سعى إلى تقديم إضافة عربية مستقلة في الحقل الذي افتتحه كارل ماركس، مثل سمير أمين ومهدي عامل (حسن حمدان) وياسين الحافظ وإلياس مرقص وعبد الله العروي، بقي الماركسيون العرب، عموماً، بسبب ارتهانهم إلى "الماركسية السوفيتية"، عاجزين عن إعادة إنتاج الماركسية بصورة مستقلة. ويعود هذا العجز، في المقام الأول، إلى انقطاع الماركسية في العالم العربي، عند ظهورها على يد الأحزاب الشيوعية، عن أفكار التنوير بقيم الحداثة وسبل بلوغها، التي حملها تياران، تيار إصلاحي ديني، وتيار ليبرالي علماني. فقد سلط المعبرون عن هذين التيارين الأضواء على أسباب تأخر المجتمعات العربية، وفي مقدمها الجهل، الذي أدى إلى تناسي الفرق بين ما هو جوهري وما هو غير جوهري في الدين وإلى بروز التعصب، وكذلك الاستبداد، ولا سيما السياسي منه، الذي يولّد الظلم والفساد والتضييق على أصحاب الأقلام. ومن منطلق قناعتهم بأن الحداثة التي ولدت في الغرب، وساهمت الرشدية اللاتينية في تمهيد الطريق لها، باتت مع الوقت مكتسباً إنسانياً كونياً، سعوا، بغية تجاوز أسباب التأخر، إلى إشاعة القيم التي مكّنت "الآخر" من التقدم وإقامة مجتمعات حديثة، ومن أبرزها الحرية الفردية، والمعرفة العقلانية، والعدل بصفته "أساس الحكم والعلاقات بين الناس"، والمساواة بحيث يكون جميع الناس "متساوين أمام القانون"، والوطنية بحيث يتحد الناس، بغض النظر عن أديانهم وطوائفهم ومذاهبهم، في الولاء للوطن، وفصل الدين عن الدولة، وحب العمل والكد باعتبارهما "مصدر الثروة" في المجتمع. ولم يكتفِ المعبرون عن هذين التيارين بالتبشير التنويري بقيم الحداثة، بل انخرطوا بنشاط في العمل من أجال مكافحة الأمية، وتعميم التعليم الحديث، وتصدوا لمهمة تحديث اللغة العربية وجعلها قادرة على استيعاب المصطلحات الحديثة، فألفوا المعاجم اللغوية والموسوعات العربية الأولى، كما قاموا بدور ريادي في تأسيس الصحافة وتشكيل الجمعيات الثقافية والاجتماعية.

لقد أشعل المعبرون عن أفكار التنوير، في أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، شرارات ثورة ثقافية حقيقية، لكنها لم تجد من بعدهم من يغذيها بالوقود، بحيث ظلت قيم الحداثة التي بشروا بها معلقة في فراغ ولم تترسخ في المجتمعات العربية، وتواصل، في المقابل، لصق مظاهر التحديث البرّاني على سطح هذه المجتمعات. فالاستعمار الأوروبي، الذي سيطر على معظم البلدان العربية، لم يكن معنياً بنقل المجتمعات العربية من التقليد إلى الحداثة، ولم يمتلك التجار والملاكون العقاريون الذين وقفوا على رأس الحركة الوطنية الاستقلالية الجرأة الكافية للذهاب بعيداً على طريق قد تشكّل تهديداً للعلاقات التقليدية التي

كانت تضمن مصالحهم الطبقية وتكفل استمرار هيمنتهم الاجتماعية، فاكتفوا بتبني بعض إجراءات تحديثية طاولت البناء السياسي للدولة. أما القوى الجديدة التي صعدت إلى السلطة، في مرحلة ما بعد الاستقلال، وضمت ممثلي الفئات الاجتماعية الوسطى من الضباط والمعلمين والموظفين، فلم تدرك حقيقة أن تعزيز الاستقلال السياسي وإدخال بعض تحديثات على البنيان الاقتصادي والاجتماعي وتبني "علمانية" ملتبسة، هي إجراءات لا تضمن وحدها نقل المجتمع من حالة التأخر إلى حالة التقدم، وخصوصاُ بعد أن تعاملت هذه القوى مع قيم الحداثة، كالحرية والمساواة، بصورة مجتزأة بما أفرغها من معانيها الحقيقية، إذ نظر ممثلوها إلى الحرية باعتبارها حرية الأوطان فحسب، ورأوا في المساواة وسيلة للحد من التفاوتات الاجتماعية بين الطبقات ولم يروا فيها أساساً لإقامة دولة مؤسسات يكون جميع المواطنين فيها متساوين أمام القانون.

الاشتراكية تتبلور في رحم الرأسمالية وتنجم عن تطوّر الحداثة

أثبت الانقلاب الذي شهده العالم في مطلع تسعينيات القرن العشرين، والذي تزامن مع فشل المشاريع التنموية العربية، أن الاشتراكية لا يمكن أن تتجمع شروطها سوى داخل رحم الرأسمالية وليس بالقطيعة معها، وأن الاشتراكية هي مشروع لتطوير الحداثة، وذلك بغض النظر عن أشكال وطرق بلوغ ذلك؛ أما "ما بعد الحداثة" فلعها تكون "المجتمع الشيوعي" الطوباوي الذي تخيّله كارل ماركس ورسم خطوطه العريضة. وفي هذا السياق، رأى سمير أمين أن مشروع الاشتراكية المستقبلي يجب أن يستند إلى ما حققته الرأسمالية ليس في المجال المادي فحسب، بل أيضاً في مجالات أخرى تشمل مفاهيم حديثة مثل الحرية الفردية والديمقراطية السياسية، يجب أن يستند إلى ما حققته الرأسمالية ليس في المجال المادي فحسب، بل أيضاً في مجالات أخرى تشمل مفاهيم حديثة مثل الحرية الفردية والديمقراطية السياسية، بحيث تطوّر الاشتراكية هذه المفاهيم وتعطيها مضامين أغنى وأشمل. بينما أشار عبد الله العروي إلى ما معناه أن المهمات المناط تحقيقها تاريخياً بالبرجوازية الوطنية العربية، بما فيها مهمة استيعاب الفكر العربي المفاهيم الحديثة التي روّج لها رواد التنوير العربي، ستظل مطروحة على جدول الأعمال العربي مهما تأخر إنجازها، وأنه كلما تأخر إنجاز هذه المهمات كلما ضعفت فاعلية المجتمع العربي ككل.

وعليه، صار أنصار هذا التيار الثاني يرون أن من واجب الماركسيين العرب، الطامحين إلى الاشتراكية، أن يفردوا، في المرحلة الراهنة، مكانة خاصة في مشروعهم للترويج لقيم الحداثة وسبل بلوغها، من خلال التركيز على إقامة دولة القانون، وتحقيق الفصل الكامل بين السلطات، وضمان الحريات العامة والفردية، ومبدأ التداول السلمي للسلطة، وكفالة حقوق الإنسان، ولا سيما حقوق المرأة، والاحتكام إلى سلطان العقل وفصل الدين عن الدولة، والاعتراف بتعددية الأديان والمذاهب والقوميات في المجتمعات العربية، وبث روح المواطنة فيها عبر القضاء على كل الولاءات التقليدية، العائلية والمناطقية والطائفية، وجعل الولاء للوطن وحده، وتأمين حرية الصحافة واستقلالها، ورفع وصاية الدولة عن النقابات والمنظمات الجماهيرية.

بيد أن الماركسيين العرب لا يمكنهم الاكتفاء بالسعي إلى تكريس قيم الحداثة في المجتمعات العربية، بل عليهم، في طموحهم إلى الاشتراكية، أن يعملوا على تعميق محتوى هذه القيم، وذلك من خلال التعامل، مثلاً، مع

الديمقراطية بصفتها قيمة متعددة الأبعاد، لا تقتصر على بعدها السياسي بل تنطوي كذلك على بعدين اقتصادي واجتماعي، ذلك إن الديمقراطية تظل منقوصة ما لم ترتبط بالتقدم الاجتماعي، كما أن المكتسبات الاجتماعية غير المرتبطة بالديمقراطية السياسية تظل عرضة للتبديد، كما بيّنت تجارب العديد من البلدان العربية. ومن ناحية أخرى، ونظراً لأن النضال العربي ما زال ينطوي على بعد وطني قومي، يتمثل في النضال من أجل تحرير الأراضي العربية المحتلة وإيجاد حل عادل للقضية الفلسطينية، وتصفية الوجود العسكري الأجنبي، وضمان تحكم الشعوب العربية بثرواتها الطبيعية، وقيام اتحاد عربي ديمقراطي بين دولها، يصبح من واجب الماركسيين العرب أن يربطوا، ربطاً جدلياً، بين مهمات التغيير الاجتماعي الديمقراطي، من جهة، ومهمات التحرر الوطني والقومي، من جهة ثانية، وذلك من منطلق أن ضعف المجتمعات العربية داخلياً هو الذي يستجر، ويسهّل، التدخل الخارجي في شؤونها والعدوان عليها واحتلال أراضيها والسيطرة على ثرواتها، كما أكد ياسين الحافظ، وعلى اعتبار أن الأوطان الحرة السيدة تحتاج إلى المواطن الحر الذي يشعر أنه سيد نفسه في وطنه.

وختاماً، واستناداً إلى كل ما ذُكر سابقاً، يصبح من المشروع التساؤل: هل ما زال مفهوم الثورة مفهوماً وظيفياً فاعلاً في ظل الأوضاع العربية والدولية الراهنة، أم أن هذه الأوضاع تفرض العودة إلى مفهوم الإصلاح والتعامل، تالياً، مع التغيير بصفته عملية طويلة النفس ستمر بمراحل متعددة وتتخذ أشكالاً متنوعة؛ وهو تغيير لن يقتصر على الحيز السياسي والاجتماعي، بل سيطاول العقليات والذهنيات، بما فيه نظام القيم السائد في المجتمعات العربية، وأنماط السلوك المنتشرة فيها.

الغد السياسية

الثالث من اكتوبر يوم آلام الفلاح

حميد الأمين

قررت الحكومة العراقية الاحتفال بيوم الثالث من أكتوبر عام ٢٠٢٣ واعتباره عطلة وطنية. ففي مثل هذا اليوم من عام ١٩٣٢ نال العراق الاستقلال ودخل عصبة الأمم المتحدة التي انهارت عند قيام الحرب العالمية الثانية. هذا اليوم المزمع الاحتفال به عيداً وطنياً كان اسود الأيام وأكثرها ظلماً للفلاح العراقي.

فتحت ضغط النضال الوطني خضع الانكليز للموافقة على نيل العراق استقلاله ودخوله عصبة الأمم.

كان المستعمر الانجليزي يخشى خروج الملك فيصل الأول عن السير في ركاب سياستهم الاستعمارية، وكان الملك فيصل ينتهز الفرص للقيام بإصلاحات وطنية بعيدة عن مطامع الانجليز. وحين فرض عليه المحتل الانجليزي معاهدة عام ١٩٢٢ أصر الملك فيصل الأول الذي كان وطنياً أن تتضمن المعاهدة بنداً يشترط المصادقة عليها أو الغائها بواسطة مجلس النواب العراقي المرتقب تشكيله والذي شُكّل أعوام ١٩٢٤ – ١٩٢٥. وحين تم انتخاب اول مجلس نيابي أرسل الملك الرسل سراً الى أعضاءه طالباً منهم افشال المعاهدة وعدم الموافقة عليها، الاّ أن اغلبية النواب كانت من شيوخ العشائر التي تربطهم بالإنجليز علاقات وثيقة امتثلوا لأوامر الانجليز وصادقوا على تلك المعاهدة. فمنذ أول أيام الاحتلال سارع الانجليز الى الغاء الضرائب والديون المترتبة على الأراضي والتي فرضها العثمانيون. بل وأجروا مرتبات شهرية مجزية لشيوخ العشائر وقدموا لهم الهدايا الكثيرة.

ولما حان موعد رحيل الانجليز عام ١٩٣٢ اتفقوا مع حلفائهم من الشيوخ أن يفرض الانجليز قبل رحيلهم على الملك فيصل الأول قانون ((التسوية)) الذي أعطى الحق القانوني للشيوخ في الاستيلاء على الأراضي التي كانت ملكاً مشاعاً للعشيرة

أي لجموع الفلاحين وتسجيلها باسم شيوخ العشائر الذي كانوا قبل ذلك القانون لا يملكون غير أرض صغيرة حالهم حال فلاحيهم. الأمر الذي حوّلهم الى طبقة اقطاعية ترتبط بعلاقات اقتصادية وسياسية مع اثرياء المدن وتجارها وكبار موظفي الدولة وقد عزا بعض الباحثين اصدار هذا القانون الذي صب بمصلحة شيوخ العشائر بداية النظام الاقطاعي واختلال العلاقة التي كانت سائدة قروناً ما بين الفلاح وشيخ العشيرة وكان من بين الباحثين الذين تبنوا هذا الرأي الدكتور علي الوردي وكذلك الدكتور ابراهيم كبة. وان هذا التحول أدى الى ترد كبير في أحوال الفلاحين أكثر مما هو عليه أيام الدولة العثمانية، عندما كان الانتاج الزراعي يوزع بشكل أقرب للعدالة على الفلاحين.

كان ثمن هذا الاجراء الذي قام به الانجليز لمصلحة شيوخ العشائر ان تعهد لهم الشيوخ بإسقاط اي مشروع قانون يمس مصلحة الانجليز في المستقبل اي بعد عام الاستقلال في ١٩٣٢.

وفي عام ١٩٣٣ تم سن قانون من قبل البرلمان العراقي يمنع بموجبه الفلاحين المدينين لملاك الأرض من مغادرتها او مغادرة المقاطعة ومنع تشغيلهم من اي شخص ما لم يكن لديهم مستند من مالك الأرض يؤيد بأنهم غير مدينين لمالك الأرض لعلمنا ان الفلاحين أصبحوا بعبودية حقيقية هي ما وعد به قانون رقم ٢٨ لسنة ١٩٣٣.

ويمكن ملاحظة الحزن الذي خيم على حياة الفلاحين من خلال سماع اغانيهم فالبيت الشعري التالي شائع جداً في ريف جنوب العراق

مالج بيمة جبتيني للظيم
والدنيا بس وياي تمطر بلا غيم

وحين يشاهد الفلاح تردي حاله يغني

يا رب هيجي وياي ما بيها معنى
أرد اشرد لبغداد من هلفلاحة
لا تشبع الجوعان ولا بيها راحة

ولكن ما أن مات الملك فيصل الأول بعد اقل من عام على صدور قانون التسوية الا وتحالفت الحكومة مع شيوخ العشائر واصبحوا من الداعمين لها والتف معظمهم حول نوري السعيد الذي قال في احدى خطاباته الصريحة النادرة عام ١٩٤٣ ما يلي :-" التمسكم العذر، هل يمكن لأي شخص مهما كانت منزلته في البلاد أو خدماته الى الدولة أن يصبح نائباً اذا لم يحظ بدعم الحكومة؟ أتحدى اي شخص هنا يفتخر بنفسه وبمنزلته وبوطنيته أن يقدم استقالته ويترك المجلس ونعيد الانتخابات لنرى أن كان سيشرفنا بحضوره في هذا المجلس ثانية إذا اسمه لم يرد في قائمة الحكومة".

علينا التذكير ثانية أن اليوم الوطني الذي سوف نحتفل به بعد واحد ونسعين عاماً كان يوم شؤم وحزن وفقر وعبودية على فلاحي العراق قاطبة.

الغد السياسية

الثورات والانتفاضات العراقية في العصر الحديث وعلاقتها بالتحالفات

الغـــد - متابعات

تعتبر الثورات والانتفاضات اعلى شكل من اشكال الحراك الاجتماعي، وسواء كانت تلك الانتفاضات نتيجة تخطيط وتنسيق مسبق ام نتيجة العفوية فإنها في الحالتين تعكس طبيعة الصراعات الجارية في مجتمع معين وفي لحظة تاريخية محددة. وتشير التجربة التاريخية ان جميع الانتفاضات حصلت اما نتيجة تحالفات مكتوبة ضمن برنامج واضح بين القوى المحركة لتلك الانتفاضات او نتيجة تحالفات شفوية عبر لقاءات بين قادة الانتفاضة او نتيجة تحالفات عفوية تفرضها ظروف موضوعية مرتبطة بالصراع التناحري الرئيسي.

لن نجافي الحق إذا قلنا إن الشعب العراقي شعب منتفض، فقد يصبر كثيرا لكنه لم يرضخ لاستبداد او ضيم. فطيلة (٤٠٠) عام من الاحتلال العثماني كانت العشائر في الولايات الثلاث (بغداد والبصرة والموصل) في حراك شبه مستمر سواء ضد التعسف والاستبداد الذي يمارسه الولاة العثمانيون ضد العشائر المنتفضة أم ضد الضرائب الجائرة التي كان يفرضها موظفو الجباية على الفلاحين الفقراء. وتتوج هذا الكفاح الطويل " بإخراج الحامية التركية من النجف في ١٩١٥ نتيجة سلوك القادة الترك المتشبعين بالروح الطورانية المعادية للعرب". وقد "حكم النجفيون أنفسهم بأنفسهم وحاولوا ألا يفسحوا لأي أجنبي المجال للتدخل في أمورهم".

"فلما احتل الإنكليز بغداد في ١١/آذار/ ١٩١٧، أرسلوا الكابتن مارشال في بداية عام ١٩١٨ ليقيم حاكما بين ظهرانيهم"، قاموا باغتياله قي ١٩/ آذار /١٠١٨. فكان هذا الاغتيال الشرارة التي أشعلت ثورة النجف".

في ٣٠/حزيران ١٩٢٠ "اندلعت ثورة العشرين وهي ثورة تحررية شعبية ساهم فيها أكثر من ١٢٠ ألف فلاح، وامتدت إلى مختلف ارجاء العراق، وشاركت فيها مختلف القوميات" واستمرت حتى أواسط تشرين الثاني ١٩٢٠.

أطلق عليها بعض المؤرخين "الثورة العراقية الكبرى" واعتبرها آخرون انتفاضة. "لقد أظهرت سلطات الاحتلال العسكري البريطاني استهانة واضحة بمقاومة الشعب وأظهرت قلة خبرة ومعرفة بنفسية الفرد العراقي وبالنظام القبلي وتعقيداته بالعراق مما اثار نقمة الناس. وخطت الحركة الوطنية نحو توحدها وبلورة أهدافها وتوجهها نحو التنظيم، فتكونت منظمات سرية منها "حرس الاستقلال" و"جمعية العهد العراقية " و" الشبيبة " و" حزب الدفاع "، وتجاوزت هذه المنظمات الحساسيات المذهبية والطائفية وقامت بنشاطات كثيرة مهدت لثورة العشرين التي "زعزعت الاستعمار البريطاني وقوضت

أركانه حيث كبدتهم (٤٠) مليون من الباونات، والاف من القتلى والجرحى. وعلى أثرها قررت بريطانيا إن تقيم حكما ملكيا في العراق، ورشحت فيصل بن الحسين ليكون ملكا بعد إن ضمنت موافقة فرنسا، على إن يكون هذا الحكم خاضعا للانتداب البريطاني. " بعد الثورة نهج الاحتلال مسارين: الأول هو إيجاد انسب الأوضاع والعلاقات السياسية التي تؤمن للرأسمال البريطاني نهب ثروات العراق، واِتِّباع العراق لبريطانيا. والمسار الثاني هو خلق قاعدة اجتماعية لها مصلحة على الهيمنة الاستعمارية واستمرارها. ولم يبق أمام بريطانيا إلا التعجيل بقيام الدولة العراقية وتجنب مضاعفات لا تحمد عقباها".

بعد الحرب العالمية الثانية التي انتهت بهزيمة الفاشية، وقيام المعسكر الاشتراكي، وافول دور بريطانيا، وبروز نجم الولايات المتحدة الامريكية، وظهور القطبية الثنائية في النظام الدولي الجديد، وبدء الحرب الباردة بين بلدان المنظومة الاشتراكية ممثلة بحلف وارشو وبلدان المنظومة الرأسمالية ممثلة بحلف الأطلسي. انعكس الوضع الدولي الجديد على الأوضاع في العراق، حيث تعزز دور الفكر الاشتراكي وقويت شوكة الحزب الشيوعي العراقي والحركة الوطنية بشكل عام وعاش العراق فترة انفتاح سياسي نسبي، اذ صدرت العديد من الصحف وعقد الحزب الشيوعي مؤتمره الأول عام ١٩٤٥ وتأسست مجموعة من المنظمات الديمقراطية والنقابات والاتحادات والجمعيات. بدأ النظام الملكي والحكومات التي أعقبت الحرب العالمية الثانية يعدون العدة لعقد معاهدة مع بريطانيا تكون بديلا لمعاهدة ١٩٣٠ الجائرة التي ربطت العراق بعجلة الاستعمار العالمي وبالرأسمالية البريطانية، فظهرت التحالفات الأولى على شكل تنسيق بين الحزب الشيوعي والحزب الوطني الديمقراطي والديمقراطي الكردستاني فاندلعت وثبة كانون الثاني الشعبية التي شملت بغداد ومدنا عديدة، وسقط العديد من أبناء شعبنا برصاص الشرطة. وكان الهدف من وثبة كانون الثاني هو إجهاض معاهدة بورت سموث، وتوفير الخبز والكساء وتحقيق الحريات الديمقراطية. وحققت الانتفاضة أهدافها حيث رفضت معاهدة بورتسموث. لكن الحكم الملكي استغل قضية فلسطين لإعلان الاحكام العرفية والهجوم على الحركة الثورية وسلب مكتسبات الانتفاضة.

في ٢ تشرين الثاني ١٩٥٢انطلقت انتفاضة تشرين حيث أصدرت الاحزاب الوطنية بيانا بمقاطعة الانتخابات بسبب تفشي الاستبداد وانتشار السجون والمعتقلات إضافة الى القوانين الجائرة للانتخابات. حيث قاد اتحاد الطلبة الإضرابات الطلابية وشاركت جميع الأحزاب الوطنية المعادية للاستعمار في التعبئة للانتفاضة. تم اسقاط حكومة العمري واحبطت محاولة تشكيل حكومة جميل المدفعي خلال يومين. ان الانتفاضة زادت من عزلة السلطة الحاكمة وعمقت الوعي الوطني للجماهير. ولم يستطع الحكم الملكي إخمادها إلا باستخدام الجيش، واحتلاله شوارع بغداد، وإعلان الأحكام العرفية واعتقال حوالي ٣٠٠٠ مواطن، غالبيتهم من الشيوعيين وأنصارهم كان من بينهم ايضاً قادة الأحزاب السياسية الوطنية آنذاك (الحزب الوطني الديمقراطي وحزب الاستقلال) وشخصيات وطنية معارضة ضمت نواباً وصحفيين كباراً وأساتذة جامعة وغيرهم.

وفي تشرين ١٩٥٦ ساهم الحزب في انتفاضة شعبية عمت العديد من مدن العراق، ولاسيما النجف والحي، لمساندة مصر ضد العدوان الذي شنته انكلترا وفرنسا وإسرائيل. تحولت الانتفاضة في الحي إلى مقابلات مسلحة. احتل الجيش المدينة بمساعدة الإقطاعيين من آل ياسين، وأعدمت سلطات العهد الملكي الشيوعيين اللذين قادا انتفاضة الحي وهما علي الشيخ حمود وعطا مهدي الدباس.

في شباط عام ١٩٥٧ نجح الحزب الشيوعي في إقناع الأحزاب الوطنية القائمة آنذاك في تكوين (جبهة الاتحاد الوطني). وتألفت الجبهة من الحزب الشيوعي العراقي، والحزب الوطني الديمقراطي وحزب الاستقلال وحزب البعث العربي الاشتراكي. ونظراً إلى إن بعض الأحزاب الأخرى رفضت مشاركة الحزب الديمقراطي الكردستاني (البارتي) في الجبهة، أقام الحزب الشيوعي تحالفاً ثنائياً بينه وبين البارتي. ساعد تكوين جبهة الاتحاد الوطني في نهوض الحركة الوطنية وتحفز الشعب لإسقاط الحكم الرجعي. كانت ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ تتويجا لكل جهد وطني بذل منذ ١٩١٤. ان التجربة والممارسة النضالية اليومية اثبتت صحة اطروحات فهد التي تضمنها الميثاق الوطني إذ بعد (١٥) عاما فقط تحول ما كان يعتقده البعض اسطورة الى وقع بعد انتصار ثورة ١٤ تموز.

كانت ثورة ١٤ تموز نتاج جهود جبهة الاتحاد الوطني بالتنسيق مع القوات المسلحة وبدعم من ملايين العراقيين.

في ٣ تموز ١٩٦٣ اندلعت انتفاضة معسكر الرشيد البطولية التي قادها شيوعيون من العسكريين والمدنيين، وعلى رأسهم العريف حسن سريع، الذي استشهد بعد تعذيب فظ ومحاكمة صورية، حكم فيها بالإعدام، هو وعدد من رفاقه. وكانت الانتفاضة مثالاً على الجرأة الشيوعية والروح الاقتحامية.

في ٢٠١٩/١٠/٢٥ انطلقت انتفاضة تشرين لتكشف بشكل جلي طبيعة الصراع التناحري بين كتلة التحالف البيروقراطي الكومبرادوري الطفيلي وبين غالبية أبناء شعبنا. لقد أصبحت هذه الانتفاضة خيمة وطنية يرفرف عليها العلم العراقي وتستظل تحت فيئها كافة مكونات الشعب العراقي.

لعب الشباب نساء ورجالا في اذكاء شعلة الانتفاضة كما فعلوها في كل الانتفاضات السابقة لكن لم تستطع الانتفاضة البطلة ان تمضي قدما في تحقيق كامل أهدافها لأسباب كثيرة. أن العوامل التي دفعت الجماهير للانتفاض على الواقع المرير الذي يمر به العراق مازالت قائمة وتتصاعد يوما بعد يوم.

الغد السياسية

هل التاريخ يعيد نفسه؟؟؟

عادل رحيمة عطية

قصة حقيقية حدثت في الثلاثينات من القرن الماضي وفي مدينة الموصل.

يوجد جامع قديم جدًا واسمه جامع المنارة، بابه يطل على موقف العربات في نزلة البلدية مدخل الجسر القديم الحديدي، في هذا الجامع يوجد إمام متعصّب ويحث الناس للجهاد ضد الاستعمار البريطاني، ويسب ويشتم كل يوم وخاصةً في صلاة الجمعة، والجامع ممتلئ بالمصلّين وعلى باب مدخل الجامع من الخارج يوجد ٢ جنود انكليز لحراسة المصلين يسمعون المسبّة و (يطنّشون)!!! وعند خروج المصلّين الكل تسب وتشتم وتبصق في الأرض ضد الجنود الانكليز!!

نترك الإمام المتعصب والجامع مؤقتاً ونتحدث عن ما حول الجامع، منطقة تعج بها كل الحرف، نجارين وحدادين وصانعين الأحذية الوطنية من جلد الجاموس ويصبغ في اللون الأحمر عمره الافتراضي عشرة سنين على الاقل، السيد شاكر الخشاب رحمة الله عليه، عاش ٨٠ عام واستهلك ١٠ أحذية فقط من هذا النوع، طول حياته لم يشتري غير هذا النوع الوطني!!

ومن الأسواق المهمة أيضاً سوق الجمرك هذا السوق يبدأ من فتحه الجسر القديم وبمحاذاة نهر دجلة الى محلة الجوبه، يحتوي على كل المنتوجات من الخضراوات والفاكهة التي تصل بواسطة (الكلك) او العبّارة من نهر دجلة او عن طريق الجسر من الساحل الأيسر.

كل هذه الأسواق المهمة هي الشريان الاقتصادي لمدينة الموصل، وفي هذه المنطقة كان يحكمها شخص واحد قبضاي (بلطجي) ساقط، بدينار واحد يقتل اي شخص!! ويأخذ خاوات من كل تجار المنطقة، ولا سلطة للدولة عليه، ولا حتى وجهاء مدينة الموصل لهم اي نفوذ عليه، فهو حر (يلعب على كيفه) (يعني ابو هدلة) بكل جدارة. انتبهوا عليه الإنكليز يومًا فاستدعوه ودخل وقال: (شكو انا ما عامل شيء يسوئكم)، قالوا: صح انت رجل تحترم حدودك، قال (ليش جايبيني يمكم) ؟

قالوا نرغب في مساعدتك، كم تحصل من الخاوات في الشهر؟

قال تقريبًا بين خمسة الى عشرة دنانير حسب السوق!!.

قالوا وإذا نعطيك عشرين دينار في الشهر مقابل توقف عن الإعمال التي تبتز بها تجار المنطقة وعن كل انواع الاعتداءات على الناس؟!!، يعني تصير خوش ولد وتساعد الناس بدل الخاوات.

قال: ومن يضمن لي تعهدكم؟

قالوا: من هذا اليوم هذي عشرين دينار نقدًا ومن بكرة تغير أسلوبك مع كل الناس والتجار، وأستلم المبلغ وتعهّد على ان يكون مستقيم ابو هدلة!! وعلى مضض منه استقام وبدء يتعاون ويتعامل مع الناس بكل آدب واحترام، ودامت الحالة ٣ أشهر وراتبه ماشي كل شهر!!

استغرب الناس منه ومن الإنكليز الذين غيروه من شرّير وقبضاي، الى إنسان هادئ ومتعاون معهم!!

نرجع الى الإمام المتعصّب وقد زاد تعصبًا ومسبةً لكل الإنكليز ومن يتعاون معهم، ويشحن المؤمنين ضد الانكليز. في احدى الأيام استدعوا الإنكليز البلطجي ابو هدلة ليشرب الشاي معهم وليقيّموا وضع المنطقة وبدا الحديث عن شيخ الجامع وكيف يشتم الإنكليز والبلطجي يسمع وحمّوا دمه ضد شيخ الجامع. قام ووقف وقال: والله راح اقتله بيدي، كيف يشتمكم وأنتم أحسن الناس الذين بدلوني من مجرم الى انسان صالح وكففتم الناس من شرّي؟، هذا الإمام لا يصلح للبقاء على قيد الحياة، (اي تبرع في قتله)

الإنكليز قالوا له انت تشوف هذا الشيء ومستعد؟، قال وبكل فخر: طبعًا مستعد ومن أخرج من هنا رأساً على الجامع اقتله اليوم قبل غداً، قالوا: لا، لا اليوم نحن نريد ان نحافظ عليك، وسوف نعمل خطة الان لتنفذها يوم الجمعة القادمة والخطة كما هي : بعد صلاة الجمعة يخرج المصلّين ويبقى مع شيخ الجامع كم شخص ٤-٥ افراد يستفتون الشيخ بأسئلة شخصية، هنا يأتي دورك، تقترب منه وتطلق الرصاص على راسه وقلبه ويسقط ، الاشخاص الباقين سوف يركضون وراك للقبض عليك، انت تركض وتأتي الى جنودنا الواقفين في مدخل الجامع من الداخل وتحتمي بيهم لينقذوك من المصلّين.
فعلًا يوم الجمعة نفّذ البلطجي الخطة وقتل الشيخ، ومثلما رسموا له بالضبط، والفرق البسيط والأهم في المهمة، عند لجوئه الى الجنود الإنكليز فتحوا نار بنادقهم عليه، واردوه قتيلًا بدل حمايته كما كان متفق عليه!!

القصة حقيقية رواها والدي رحمه الله، نتائجها: الإنكليز قضوا على شخصين عدائيين عليهم، الشيخ محرّض الناس ضدهم، والبلطجي ابو هدلة وكل مشاكله اليومية بمبلغ ٦٠ دينار فقط رواتب ٣ أشهر للبلطجي!!! والأكثر أهمية وفائدة للإنكليز بعد انتشار الخبر في الموصل، ان الجنود الإنكليز أخذوا بثأر الشيخ وقتلوا القاتل!! الله وأكبر يصيحون المواصلة: كم كنا غلطانين في ظنّنا وسخطنا على الإنكليز؟!! واليوم أثبتوا انهم شجعان، هم جاؤوا لحماية ديننا وعِرضنا، نحمد الله الذي سخّرهم لنا !!! اذن ما علينا إلا الصبر لنرى خطة الامريكان كيف سوف يقضون على عملاءهم من سراق العراق من في السلطة الان؟

كيف ستكون نهايتهم وبأيدي من؟

الانكليز استثمروا ٦٠ دينار من دخلهم في ثلاثينيات القرن الماضي! أمّا الامريكان فخطتهم عكس ذلك، هم استثمروا مليارات الدولارات من نفط العراق، وأجبروا بأمر صارم على كل مسؤول كبير في الدولة حالياً، ان يسرق إجباري والذي يخاف من السرقة ويخاف الله حقّاً يُعزل من منصبه حالاً!

السرقة إجبارية، وليست اختيارية للمسؤولين العراقيين! (هذا ما ثبت وبُرهن عليه!!، وأهم نقطة في خطّة الامريكان: ان أي مسؤول يُطيعهم ويسرق بشراهة هو المطلوب للخطة، ويبقى في السلطة ومدعوم من امريكا! والمسؤول النزيه لا يبقى في السلطة أبداً) وكل هذه الأموال تنتهي في بنوك الغرب والعقارات في اوربا وامريكا، ليسهل على الامريكان الاستحواذ على كل ما سرق مسؤولي العراق!!!

بهذه الخطة راح أحفاد جبر يقولون بعد كم سنه: الله أكبر طلعوا الامريكان خوش ناس، وصادروا كل ما نهبه السياسيين العراقيين من العراق.

الله يلعن كل من عمل على تجهيلنا (تجهيل مدفوع الثمن) وعلى فقر الحال لبلادنا، وبالخالق المستعان والحبل على الجرار.

#أرجوكم: لنكف تداول فيديوهات السرقات يا إخوان، السرقة مخطط لها، إجبارية وليست اختيارية.

لو لم يسرقوا مسؤولينا هذه المليارات، لكانت ذهبت كل هذه الاموال لتعمير العراق، ولكن سرقتها من قبل أولاد الحرام واستثمارها خارج العراق أدى إلى ما صار عليه العراق واهله اليوم!!

والنتيجة كل الأموال وفوائد محصول استثماراتها تذهب كلها إلى الأمريكان!!

سياسيوّنا هم مجرد جسر لعبور الأموال من العراق الى الدول الغربية وبأمانة تامة!، ولا تنسوا أطنان الذهب في سراديب البنك المركزي، التي انتهت بيد الامريكان!!!.

ويبقى الشعب العراقي يلطم ويندب حظّه الى الابد ما دام الجهل معشعشاً في عقولنا.

ولا ننسى ان اقل الدول تعاوناً معنا في استرجاع الاشخاص الفاسدين والاموال المسروقة من العراق بعد وقبل ٢٠٠٣ هم الاردن ومصر، وهما من اكثر الدول التي ساعدها العراق.

الغد السياسية

هجوم حماس: صدمة، فشل، وكابوس

جلال بن عباس

ركزت الصحف الإسرائيلية اهتمامها على تحليل خلفيات الهجوم المباغت الذي نفذته حماس على إسرائيل صباح السبت. وشبهت الصحف العبرية الهجوم بانطلاق حرب ٦ أكتوبر عام ١٩٧٣، حين شنت مصر وسوريا هجومين متزامنين مفاجئين على إسرائيل.

- ما الذي نعرفه عن هجمات حماس على إسرائيل؟
- ما أبرز محطات الصراع بين حماس وإسرائيل؟

7أكتوبر ٢٠٢٣: تاريخ سيبقى عاراً على إسرائيل. عطفاً على ما كتبه الدبلوماسي والكاتب الإسرائيلي ألون بينكاس.

اعتبر الكاتب هجوم حماس بمثابة كارثة إسرائيلية مروعة، إذ فشلت الدولة بقيادة رئيس الوزراء بنيامين نتنياهو وجيش الدفاع الإسرائيلي بشكل مذهل في حماية مواطنيها، على حد تعبيره. وكتب يقول: "لا يمكنك المبالغة في تقدير حجم وقوة موجات الصدمة المدوية لهجوم يوم السبت على إسرائيل. هذا هو يوم الغفران عام ١٩٧٣ مرة أخرى، مع فارق أساسي واحد: الخسائر التي لحقت بإسرائيل في عام ١٩٧٣ (٣ آلاف قتيل) كانت على حساب الجيش. لقد أودى هجوم يوم السبت، الذي من المؤكد أن يتصاعد، بحياة مدنيين، وأرعب بلداً بأكمله وكان مهيناً بقدر ما كان مميتاً"

يرجح الكاتب في مقاله أنه لم تكن هناك معلومات استخباراتية عن الهجوم الصادم، الذي وقع يوم السبت من قطاع غزة، ولكن كانت هناك مؤشرات أولية. وتوقع أن ترد إسرائيل بقوة كبيرة، دون استبعاد إمكانية القيام بمناورة برية واحتلال قطاع غزة، ومن الممكن أيضاً أن تشن حملة متعددة الساحات.
وكتب: "إن الرد الإسرائيلي في هذا الوقت، بل وفي الأيام المقبلة ربما سيكلف الجانب الفلسطيني ثمناً باهظاً من الدماء. ومع ذلك، فإن غزة ليست الساحة الوحيدة التي يمكن أن تشتعل فيها النيران".

ويرى الكاتب أن الجبهات يمكن أن تشمل "الضفة الغربية والقدس الشرقية، وربما أيضاً حزب الله في الشمال وأيضاً العناصر العربية المتطرفة داخل إسرائيل".

وأضاف أنه في نهاية الحرب القادمة، سيكون "من المستحيل تجنب السؤال الكبير: ماذا حدث لنا، وكيف وقعنا في مثل هذا الفخ القاتل؟".

الغد مجتمع

الإعلامي المثابر كمال يلدو وتجربة برنامج (أضواء على العراق)

يوسف أبو الفوز

تصوير: شادمان فتاح

لطالما أثارت إعجابي تجربة زميلي وصديقي الإعلامي كمال يلدو، في مثابرته واصراره للعمل، واستمرار ظهور برنامجه الأسبوعي (أضواء على العراق) على منصات التواصل الاجتماعي. مؤخرا، حين توفرت لي الفرصة لزيارة محل إقامته في بيته، في مدينة ديترويت الامريكية وزيارة استوديو البرنامج الذي أقامه في قبو بيته، قررت مشاركة القراء بتسليط شيئا من الضوء على هذه التجربة الملهمة، التي طالما تمنيت ان يطلع عليها البعض من شبابنا الإعلاميين لاستنباط بعض الدروس منها.

ولد الرفيق كمال يلدو في عام ١٩٥٦ في بغداد، منطقة رأس القرية، أنهى الدراسة الثانوية في الاعدادية الشرقية ودرس لمدة عامين في كلية العلوم جامعة بغداد، وتعرض مثل الالاف غيره من الشيوعيين والديمقراطيين الى عسف نظام البعث الفاشي، فاضطر لمغادرة العراق مطلع عام ١٩٧٩ ووصل الولايات المتحدة صيف العام نفسه، ليستقر في ولاية مشيغان الامريكية، ليكون واحدا من نشطاء الجالية هناك ووجوهها الإعلامية من خلال نشاطات جمعية الاتحاد الديمقراطي العراقي (تأسس في ١٥ أيار ١٩٨٠) في السعي لدعم نضالات الشعب العراقي من اجل الدولة المدنية الديمقراطية، وتعزيز مكانة الجالية العراقية في المجتمع الأمريكي، والحفاظ على هويتها العراقية الوطنية، وعمل محررا في جريدة (صوت الاتحاد) الصادرة عن الجمعية. أما لماذا التوجه الى العمل الإعلامي الذي يمارسه تطوعا، سواء في اعلام الحزب الشيوعي العراقي او الجمعيات والمواقع الثقافية المتنوعة، يجيبنا الرفيق كمال يلدو عن ذلك بان نشاطه الإعلامي سبق مغادرته العراق حيث كانت له بدايات يعتبرها متواضعة في العمل الصحفي من خلال صحيفة (طريق الشعب) العلنية.

لكن افاق العمل الإعلامي الواسعة خارج العراق، وإمكانية الوصول لقطاعات مختلفة من العراقيين، فرضت عليه اختيار النشاط الإعلامي، لأنه يوفر له فرصة عكس موقفه بوضوح من كل ما يتعرض له العراق وشعبه سواء أيام النظام حكم النظام الديكتاتوري المقبور أو ما تبعه.

ويخبرنا الرفيق كمال بأن بداية عمله الاعلامي (الاذاعة والتلفزيون) كانت في العام ٢٠٠٥ عبر محطة اذاعية محلية، وفي العام ٢٠٠٥ بدأ بتقديم برنامج تلفزيوني اسمه (اضواء على العراق) عبر محطة تلفزيونية محلية في ديترويت (الفضائية الآرامية) واستمر ذلك حتى العام ٢٠١٩، حيث تواصل تقديم البرنامج، بفقرات سياسية وثقافية استضاف فيه الكثير من الشخصيات من داخل العراق وخارجه.

وفي اذار ٢٠١٩ توقف بث البرنامج من خلال الفضائية الآرامية، وبدأت مرحلة جديدة منذ تشرين اول ٢٠١٩ في البث من استوديو خاص أقامه في قبو بيته، عبر شبكة (فيس بوك) بمعدل حلقتين من البرنامج في الاسبوع وما زال مستمرا في ذلك.
برنامج (اضواء على العراق) موجه للعراقيين اينما كانوا، وهو يتناول الأوضاع في العراق والحراك الوطني والموقف من حكومات المحاصصة العراقية وقوى النفوذ السياسي، كذلك تسليط الاضواء وابراز الشخصيات التي عملت في كل حقول المعرفة والثقافة العراقية امام تجاهل المؤسسات الرسمية لهم.

ومعروف ان الرفيق كمال يلدو، رغم ارتباطه بالعمل (في المبيعات) لستة أيام في الأسبوع، فانه يكرس جهدا متميزا لإعداد البرنامج بنفسه ولوحده، دون مساعدين، ويموله من ماله الخاص، دون ان يحظى بأي دعم من أي جهة ما، ويقوم بمهام البحث وتجميع وتبويب المواد الإعلامية وتقطيعها وتقديمها بنفسه. ويبذل جهدا كبيرا في عمليات البحث وتوفير المواد، خاصة عند جمع المعلومات عن الشخصيات الثقافية والعلمية العراقية، حيث يستثمر علاقاته ويجري العشرات من الاتصالات بحثا عن المعلومة الدقيقة وكل حلقة تستغرق منه في الاعداد عدة ايام، بمعدل عشر ساعات عمل اعداد لكل حلقة.

مدة البرنامج ساعة ونصف، يكون الجزء الأول منه معني بالتطورات السياسية في العراق، ويقوم لأجل ذلك بالاستعانة بمواد ارشيفية من شبكات الاخبار وما ينشر في وسائل التواصل الاجتماعي، والجزء الثاني من البرنامج يكرس للجوانب الثقافية والتعريف بشخصيات عراقية، فنية ورياضية وعلمية. وتقودنا متابعتنا الى كون البرنامج يحظى بمتابعة جيدة وتواصل مع المشاهدين في داخل الولايات المتحدة الامريكية وخارجها إذ حصل على الاف الزيارات والتعقيبات وعلامات الاعجاب وأثار نقاشات عميقة حول موضوعات تم تناولها في البرنامج.

الاحصاءات المتوفرة عن برنامج (اضواء على العراق) وللفترة تموز ٢٠٢٢ ـ تموز ٢٠٢٣، تشير الى انه تم تقديم ٩٥ حلقة بمعدل ساعة ونصف بث (١٤٢ ساعة بث)، كان هناك ١٤ حلقة تناولت الأوضاع السياسية، و٨١ حلقة تناولت مواد ثقافية، ومجمل حلقات البرنامج تحدثت عن ٣١ سيدة عراقية، و١٢٥ رجلا. اهم الموضوعات التي تناولتها حلقات البرنامج كان عن: ثورة ١٤ تموز، انقلاب ٨ شباط وشهداء الانقلاب وضحاياه رجالا ونساءً، ازمة النظام القائم والمحاصصة والفساد والسرقات، قضية حرية الرأي والديمقراطية والملاحقات التي تقوم بها السلطة وقوى الميليشيات المنفلتة، ازمة المياه والتصحر والاهوار وتناول اوضاع المكونات العرقية غير المسلمة في العراق. وأيضا شملت فقرات البرنامج الحديث عن: تأسيس كليات الطب والهندسة، وكلية بغداد ومدرسة عادل والمدرسة الفيلية، تعريف بالنوادي الاجتماعية العراقية (نادي التعارف، الآثوري الثقافي، الارمني، الشبيبة الارمنية، بابل، اور، العلوية والمشرق)، آثاريين عراقيين وبوابة عشتار ومتحف برلين، أساتذة علم الاجتماع والفلسفة، روائيين وقاصين وشعراء، فنانين تشكيلين ورسامي الكاريكاتير، اساتذة مخرجين وممثلين والتعريف بمعهد شيكاغو للمسرح، أساتذة وفنانين اجانب خدموا في العراق، تربويين وكتاب ومؤلفين، أطباء عالجوا الفقراء.

الغد مجتمع

بين الرئيس والمرؤوس، والمثقف وزعيمه

استذكار: حميد المدهوش

هذا ما حدث في يوم ما .!

عندما ثأر الزعيم عبد الكريم قاسم، للجواهري ويوسف العاني من السويد!

أروي ما اتذكره من هذه الحكاية التي رواها لي الفنان الراحل يوسف العاني، على روحه الرحمة حيث قال:-

كنت مسؤولاً عن الادارة في أول هيئة إدارية للاتحاد العام للأدباء والكتاب العراقيين. وفي أحدى السنوات سافرنا بوفد يرأسه الشاعر الراحل محمد مهدي الجواهري ومعنا (أعتقد الدكتور مهدي المخزومي) الى موسكو. كان سفرنا على طائرات شركة لوفتهانزا، نزلت الطائرة في ستوكهولم ومن هناك نطير الى موسكو. وما أن نزلنا في ستوكهولم حتى جاءنا رجال الأمن وقالوا هناك مشكلة لم يخبرونا بها، فأخذوا جوازاتنا وأركبونا في سيارة وقالو أنتم الآن بمسؤولية شركة الطيران وسنأخذكم الى النرويج تبيتون في فندق هناك تابع للشركة!

طبعاً نحن فرحنا أن نبقى كم يوم لنشاهد النرويج، لكن ما أن وصلنا حتى طلبوا منا تسليمهم جميع مقتنياتنا؛ الساعات والأقلام والسجائر، وأخذ الجواهري يصرخ ويشتمهم بصوته العالي، لكن صراخه لم ينفع فقد فتحوا لنا زنزانة وألقونا فيها. قلت للجواهري: (عوفنا هنا لنجرب سجن جديد غير سجوننا العراقية). فقد نمت على سرير نظيف وحمامات نظيفة لم نشاهدها في سجوننا، وقد نمت طويلاً حتى الصباح، حيث دفعوا لنا الفطور من تحت باب الزنزانة. وكان الجواهري مازال يصرخ، فقلت له: (أنت أسكت أني راح أسوي مشكلة حتى أذا ضربوني أو آذوني أني اتحمل وأنت ما تتحمل أي شي).
مسكت المواعين ورحت اطرق بها الباب، كما ضربت على الباب بكلتا يدي وأنا أصرخ وأشتم واحدثت هرج كبير حتى اضطروا الى فتح الباب، فقلت لهم: (نريد واحد يتحدث اللغة الإنكليزية). لأن طول الطريق من السويد الى النرويج لم نجد من يتحدث الإنكليزية كلهم يتحدثون الألمانية. قال لي الجواهري؛ (ميخالف خل يجيبون واحد يحجي فرنسي)، قلت له (أنت بس أسكت، ليش أنت وين تعرف فرنسي؟ أحنا أنگليزي گوه مدبرينها).

المهم .. جابوا واحد شوية يتكلم أنگليزي، وقلنا له؛ أحنا وفد رسمي يمثل دولة محترمة وأنتم تعتقلونا بدون سبب، نريد أن نتكلم مع سفيرنا.

فاتضح ان النرويجيين لا يعرفون شيئاً عن القضية، وأن السويديين كانوا يتهموننا بأننا جئنا تهريب الى ستوكهولم بجوازات مزوره، ولأنه لا توجد سجون في السويد أتوا بنا الى سجون النرويج!

أطلقوا سراحنا وواصلنا سفرنا الى موسكو وبعد عودتنا وصل الخبر الى الزعيم عبد الكريم قاسم فأستشاط غضباً وفي الحال أتخذ قراراً بمنع نزول طائرات شركة الطيران في جميع مطارات العراق، وعندما حاول بعض المقربين منه تهدئته وأن هناك حجوزات مسبقة، رفض بشدة وقال بعصبية (لازم يدفعون ثمن عدم احترام العراق.. ما مسموح لأي دولة تهين عراقي). وجاء وفد من الشركة وقابل الزعيم لكنه لم يتراجع، كما قابله السفير السويدي لتقديم الاعتذار، ولم يتراجع الزعيم عن قراره، بعدها جاء وزير خارجية السويد وقدم الاعتذار رسمياً، ولم يكتف عبد الكريم قاسم بذلك فقد طلب منهم الاعتذار منا شخصياً، وحدث ذلك، فرفع المنع عن هبوط طائراتهم في بغداد.

الغد - مجتمع

البصرة بين الماضي والحاضر

طارق العبودي

البصرة كما يعرف الجميع منذ القدم محافظة مدنية ومتحضرة ومسالمة وجاذبة للأيدي العاملة بحكم موقعها الجغرافي ولكونها تضم موانئ بحرية تنشط فيها حركة التجارة مع دول الجوار بالإضافة الى كونها مدينة نفطية وفيها مساحات واسعة لزراعة بعض المواد الغذائية فهي حقا سلة العراق الغذائية والاقتصادية.

هذه الاسباب وغيرها دفعت اهالي الاهوار وسكان البادية بعد ان اصابهم الحصار والجفاف بسبب تجفيف اراضيهم من قبل النظام الصدامي البائد مما دفع مجاميع واسعة منهم للنزوح الى مدينة البصرة طلبا لفرص عمل وحملوا معهم عادات وتقاليد غير مألوفة وغير شائعة لدى سكان اهل البصرة منها النزعة الثأرية والعنفية و(الـگـوامة) والفزعة والرمي العشوائي و(الدگـة) واستعمال السلاح المتوسط والخفيف تجاه الاخرين لأسباب واهية وتافهة مثلا شجار بين اطفال المحلة او خلاف حول قضية بسيطة لا يستوجب النزاع فيها بعيدين عن لغة الحوار والتفاهم.

واستغلوا ضعف تطبيق القوانين وانعدام هيبة الدولة بعد سقوط النظام البعثي المقبور للتوسع والسيطرة و(الحوسمة) على اراضي عائدة ملكيتها للدولة او لأشخاص في خارج العراق بالاتفاق مع بعض الاشخاص الفاسدين والمتنفذين في مواقع مهمة للدولة لتغيير جنسها وملكيتها بحيث أصبح للبعض منهم نفوذ وحضور في مواقع مهمة في المجتمع والحكومة بحكم المنافع والمصالح المشتركة المبنية على الغش والخداع والطرق غير القانونية.

ارجاع الامور الى الوضع الطبيعي والى حالة السلم والتأخي والوئام بين ابناء المحافظة كما كان سابقا هو من خلال سيطرة قوة القانون واشاعة هيبة الدولة ومحاسبة الفاسدين واللصوص وارجاع من هم نازحين من خارج المحافظة الى اماكنهم القديمة إذا رغبوا بذلك بعد توفير سبل الاستقرار والأمن وتأمين مصادر العيش الكريم لهم.

الغد مجتمع

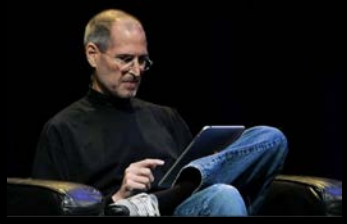

سر السعادة

الغد - متابعات

الملياردير ستيف جوبز، مؤسس شركة آبل للإلكترونيات، وهو أحد أقطاب الأعمال في الولايات المتحدة الأمريكية، ورئيسها التنفيذي السابق، تُوفيٰ عن عُمر يناهز ٥٦ عامًا بسبب سرطان البنكرياس. وخلف ثروة قدرها ٧ مليارات دولار.

اليوم في مجلة الغد، نقف أمام بعض من عباراته التي ستظل خالدة للتاريخ:

من وجهة نظري الآن، حياتي هي جوهر النجاح، لكني ليس لدي فرح كبير بما أملكه. في النهاية الثروة أصبحت مُجرد رقم أو شيء من الأشياء التي اعتدت عليها.

في هذه اللحظة، وأنا مُستلق علىٰ سريري، مريض وأتذكر شريط حياتي، أُدرك أن كُل سُمعتي والثروة التي أمتلكها لا معنىٰ لها في وجه المُوت الوشيك.

إنهُ يُمكنك استئجار شخص ما لقيادة سيارتك، أو خادم لقضاء أغراضك، أو توظيف قياديين لإدارة أعمالك وكسب المزيد من المال والشُهرة...

ولكن -وبالتأكيد- لا يُمكنك استئجار شخص ما، وبأي ثمن، لحمل الألم أو المرض نيابة عنك!

كُلما تقدمنا في السن أصبحنا أكثر ذكاءً، فندرك أن ساعة تبلغ قيمتها ٣٠ دولارًا أو ٣٠٠٠ دولار - كلاهما يعرض نفس الوقت بالدقيقة والثانية.

ونُدرك أنه سواء كُنا نحمل محفظة بقيمة ٣٠ دولارًا أو ٥٠٠ دولار، يظل مبلغ المال فيها كما هو.

وسواءً كنا نقود سيارة بقيمة ١٥٠,٠٠٠ دولار أو ١٥,٠٠٠ دولار.. الطريق والمسافة التي تُقطع متساوية، وسنصل في النهاية إلىٰ نفس الوجهة.

إذا كان المنزل الذي نعيش فيه هو ٣٠٠ متر مربع، أو ٣٠٠٠ متر مربع. الوحدة هي نفسها. ولن تتحرك أو تنام علىٰ مساحة أكثر من بضعة أمتار.

لا تعلم أطفالك أن يكونوا أغنياء.. علمهم أن يكونوا سعداء؛

لذلك عندما يكبرون سيعرفون قيمة الأشياء، وليس تكلفة الأشياء!

سعادتك الداخلية الحقيقية لا تأتي من الأشياء المادية التي تملكها؛ سواء كنت تسافر في الدرجة الأولى، أو الدرجة الاقتصادية. إذا تحطمت الطائرة، تحطم معها الجميع..

لذا آمل أن تفهم أنه عندما يكون لديك هدف سامٍ في الحياة، ويكون لك آثار أسعدت بها الغير، فهذه هي السعادة الحقيقية!

اترك مالك في الشمس واجلس في الظل
ولا تقصر على من حولك فالمال جُعِلَ
لنحيا به لا لنحيا من أجله.

تناول طعامك كدواء وإلا ستحتاج إلى الدواء كغذاء.

أحبب الناس الذين أرسلهم لك الله، وأحسن إليهم،
يومًا ما ستحتاجون بعضكم.

إذا كنت تُريد أن تعيش ثريًا امض وحيدًا؛ ولكن إذا كنت تريد أن تعيش سعيدًا، فاذهب مع الآخرين.

الغد - مجتمع

من عجائب الدنيا السبع - الأهرامات

الغـــد - متابعات

١. الحجر الواحد في الهرم وزنه ما بين ٢ طن إلى ١٥ طنًا.
٢. عدد أحجار الهرم حوالي ٣ مليون حجر.
٣. وزن حجر الجرانيت في سقف حجرة الملك وزنها ٧٠ طنًا! (ولا أحد يعرف كيف رفعها الفراعنة رغم حجمها المهول).
٤. ارتفاع الهرم ١٤٩.٤ متر، و المسافة ما بين الأرض والشمس ١٤٩.٤ مليون كيلو متر (من أسرار الفراعنة الغامضة).
٥. ممر الدخول للهرم يشير إلى النجم القطبي الشمالي والدهليز الداخلي يشير إلى نجم الشعرى اليمانية.
٦. لو وضعت قطعة لحمة في حجرة الهرم فإنها سوف تنشف من السوائل ولكن لن تتعفن (السر غامض).
٧. محيط الهرم مقسوم على ارتفاع الهرم يساوي ٣.١٤ وهذا الرقم يعتبر رقماً غير عادي في علم الرياضيات، يسمى الثابت الرياضي (ط) ويستخدم في الرياضيات والفيزياء بشكل مكثف.
٨. الهرم كان يضيء ليلاً لأنه كان مطليا بمادة مشعة.
٩. موضع الأهرام الثلاثة يوازي ثلاثة نجوم في السماء تسمى حزام الجبار.
١٠. يوم واحد في السنة تتسلل أشعة الشمس إلى داخل الهرم الأكبر وهو يوم مولد الفرعون.
١١. الخناجر الفرعونية داخل غرف الهرم لا تصدأ ولا تفقد حدة نصلها رغم مرور آلاف السنوات عليها (السر لم يعرفه العلماء إلى اليوم).
١٢. في بعض غرف الهرم تتوقف الأجهزة عن العمل وتتقطع إشاراتها، والسبب مجهول.
١٣. موقع الأهرامات يقع على نفس الخط الذي يربط مثلث برمودا في المحيط الأطلسي ومثلث فرموزا في المحيط الهادئ، وكلا المثلثين تحدث فيهما أمور غريبة، مثل اختفاء السفن والطائرات وتعطل البوصلة.
١٤. بداخل الهرم الأكبر ٣ غرف، اِثنتان منهما فوق الأرض والأخرى تحت الأرض، وميرابو هو المهندس العبقري الذي بني هذا الهرم.. واستغرق بناؤه ٢٠ عاما وكلف بناؤه حوالي ١٠٠ ألف عامل.
١٥. تتجه أركان قاعدة الهرم الأربع إلى الاتجاهات الأصلية للأرض في دقة مذهلة جعلت العلماء يعدلون حساباتهم في القرن العشرين.
١٦. المدار الذي يمر بمركز الهرم يقسم القارات والمحيطات إلى نصفين متساويين تماما من حيث المساحة.
١٧. أمواس الحلاقة الفاترة تصبح حادة كالسيف إذا تُركت لعدة أيام داخل الهرم (السبب محير وغير مفهوم).
١٨. يقول العلماء أن ما تم اكتشافه من آثار وأسرار الفراعنة إلى الآن لا يتعدى كونه قطرة من محيط شاسع.

الغد - مجتمع

السلطانة والحمار

يحكى أن السلطان العثماني زار صنعاء في العام ١٨٩٨م، فخرجت المدينة عن بكرة أبيها لاستقباله. وعند مدخل المدينة شاهدت زوجةُ السلطان حمارًا أبيضَ جميلًا فأثار إعجابَها، وطلبت من والِي صنعاء حينها أن يأتيها به لتأخذه معها إلى إسطنبول.

ذهب الوالي إلى صاحب الحمار وطلب منه أن يُهدي زوجةَ السلطان ذلك الحمار فاعتذر، ثم عرض عليه شراءه بما يُريد من المال؛ ولكنه أصَرَّ على الرَّفض، وقال للوالي: لديّ ستة رؤوس من الخيل الجياد إن شئتَ أخذتَها إلى زوجة السلطان هديةً مني دون مقابل، أمّا الحمار فلا. استغرب الوالي لهذا الجواب من صاحب الحمار، وسأله عن السبب، فأجابه: إذا أخَذَت زوجةُ السلطان هذا الحمار إلى بلدها فسيُصبح حديثَ الناس هناك، وسيسألون: من أين هذا الحمار فيُقال: من صنعاء، ثم سيقولون: هل يُعقل أن السلطانة العثمانية لم تجد في صنعاء ما يُعجبها غيرَ الحمير؟!

انصرف الوالي، ونَقَل الخبرَ إلى السلطانة فضحكت وأُعجبت بالرجل وأمرت له بمكافأة مالية ووسام رمزي..

(رحم الله أجدادنا فقد كانوا يخافون على سُمعة بلادهم مِن أن تمسّها الألسنُ بالسوء، أما اليوم فهناك حمير تبيع البلاد بما فيها).

بلدنا - محتل - فعلاً

ملف العدد

إسماعيل فهد إسماعيل

البدون

الغد – ملف العدد

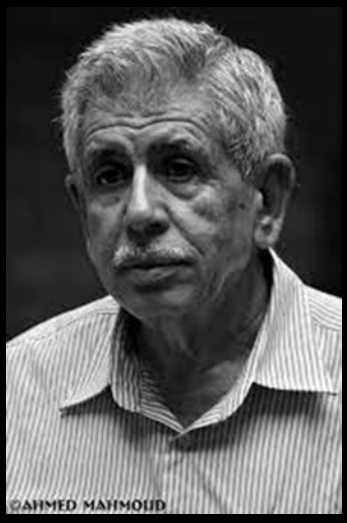

صَدَمات ومُعادَلات

(في تجربة إسماعيل فهد إسماعيل الروائية)

محمد خضير

أستطيع أن ألحِق روايات إسماعيل فهد إسماعيل بروايات (ما وراء الحدود) تلك التي تضمّ طائفة كبيرة من الروايات المغترِبة عن أرضها ومحيطها الطبيعي والجغرافي، وعبورها مراحل تاريخية مختلفة، وتميّزها بالغربة والاغتراب عن الوطن والهوية. (روايات عبد الرحمن الربيعي وجيان وعلي الشوك ونجيب المانع وفاضل العزاوي وغيرهم من الروائيين المخضرمين). بل أعتبر روايات إسماعيل فهد إسماعيل أشدّ الروايات انعطافاً وانفراداً عن التجربة السردية العراقية وازدواجاً بتجربة جبرا إبراهيم جبرا الروائية المثيرة في تنوّعها وتباعدها.

يضعنا هذا التصنيف المزدوج أمام مهمة عسيرة لاستجلاء الأثر المنفرد في روايات إسماعيل فهد إسماعيل الشكلية وموضوعاتها الإشكالية. فكاتبُها روائيّ من الطليعة المجرِّبة، وشاهدُ عصرٍ مخضرّم، لم يَحِد نظرُهُ وإحساسُه عن قضايا أمّته وبلاده، ولم يهادن بمواقفه وكتابته متغيّرات عصره، بل إن ذاكرته الحيّة أعادت إنتاجَ الحكايات المنسيّة التي غطّاها التاريخ العربي بدخان حروبه ودسائسه. (مثال ذلك إعادة إنتاج حكاية مقتل القائد الفرنسي كليبر على يد سليمان الحلبي، في رواية: النيل الطعم والرائحة).

مهما كانت قراءتنا قريبة وأليفة، إلا أنّنا لا نستطيع إغفال الإشارة إلى الاستراتيجية السردية لإسماعيل فهد إسماعيل القائمة على أساس (الاختلاف والمغايرة)، والنفاذ إلى آليّاتها الداخلية في رواياته. نبعت هذه الاستراتيجية من ((الإحساس بالتحدّي والرغبة بالتغيّر وبتأمل الحياة والمجتمع والذات))_ كما صرّح بها في حديث مطوَّل مع طالب الرفاعي_ وقد حكمَت هذه الاستراتيجية أعمالَ إسماعيل الروائية كلّها، ووجّهت موضوعاتها وبناها الفنية في مختلف المراحل وتقاطع الأزمنة والأمكنة، وتعدّد الشخصيات والهويات واللغات. كما أثبتت هذه الاستراتيجية قوّتَها وصلابتها أمام أكبر صدمتين تاريخيتين، اعترضتا تجربة إسماعيل الروائية: صدمة العرب في حرب حزيران ١٩٦٧، وصدمة احتلال الجيش العراقي للكويت العام ١٩٩٠.

أما التجلي البنائي لهذه الاستراتيجية فيتمثّل في الاختزال اللغوي، والتقطيع السينمائي، والتمشهد المسرحي، وحوار الشخصيات الباطني المنفرد والثنائيّ. وقد لا نضيف جديداً لرأي النقّاد العرب في المزايا الفكرية والجمالية لروايات إسماعيل، إلا أننا لا بدّ أن نشير إلى سعة الخبرة التاريخية والتقنيّة التي صدرَت عنها، واحتلالها مركزاً مرموقاً بين السرديات العربية الحديثة.

بموجب الموجِّهات البنائية الآنفة الذكر، نستطيع أن نصنّف أعمال إسماعيل فهد إسماعيل الروائية، بحسب علاقتها المرحلية والمكانية، في صنفين رئيسيين:

١. روايات صدمة التحدّي والتغيير.

٢. روايات صدمة الاحتلال والعزلة.

إنّ هذا التصنيف يساعدنا على الدخول إلى المحتوى الحقيقي للاستراتيجية الروائية التي اعتمدها إسماعيل في تأليف رواياته، كما يضعنا أمام ظاهرة التمزّق الأيديولوجي لهويات أبطاله، في زمنين متقابلين ومتعاقبين، وفي أكثر من مكان جغرافي. سنلاحظ أن الصنف الأول (التحدي والتغيير) الذي يضم الرباعية العراقية الأولى، والثلاثية العربية المعنونة بنهر النيل، إضافة إلى روايات منفردة أخرى، تحقق رؤيتها الثيمية بهوية قومية وأيديولوجية موحَّدة، قبل أن تنشرخ هذه وتغترب لإنجاز الصنف الثاني (روايات الاحتلال والعزلة) وأشهرها (سباعية إحداثيات زمن العزلة) و(في حضرة العنقاء والخل الوفي).

ولا يبدو هذا التصنيف قدَراً تاريخياً مفروضاً على الروائي، ومسلّطاً على هويات أبطاله، في أزمنة قاهرة وأمكنة متعدّدة (البصرة، الكويت، بيروت، القاهرة، الفلبين)، ذلك لأن هذا التصنيف_ باعتقادي_ يتفق تماماً مع الممارسة الأيديولوجية الأساسية والخبرة الجمالية اللتين اكتسبهما الروائيّ في وقت سابق للصدمتين الكبريين. فقد أفاق إسماعيل في زمن مبكر على انهيار الآمال الثورية لقوى المجتمع الوطنية، وكان شاهداً قريباً على صعود العقليات الشمولية للعسكرتاريا العربية، وضمور القضايا القومية والمنظمات المرتبطة بها، فأصبح محكوماً بالاغتراب الفكري والاجتماعي، ومصدوماً بالانسلاخ الوطني والقومي، ثم متأمِّلاً للانقسام الشعوري الباطني، الذي هزَّ أعماقَ أبطاله المغتربين ودفعهم للبحث عن لغة جديدة للتعبير عن الرؤى المفتوحة على التغيير، وشعرية الذات اللامنتمية. تمزّقت الذات المنتمية، عندما شهدت الحقيقة المؤلمة لسقوط التاريخ الجماعي، فاتجهت إلى "أرخنة الذات وتذويت التاريخ" بمعادلة الدكتور مُرسل فالح العجمي. وهي معادلة تساوي في رأينا: انفصام الذات وانسلاخ الهوية، في شخصية (البدون) التي اختارها إسماعيل لروايته (في حضرة العنقاء والخل الوفي) الصادرة في العام ٢٠١٣. ولعلّ العمل الروائي السابق الصادر العام ٢٠١١ بعنوان (عندما رأسك في طريق واسمك في طريق أخرى) قد أخفق في اعتراض التيّار الشعوري الجارف للذات المنقسمة على نفسها، الذات المنتمية والذات المتأمّلة، ولم يحقّق المصالحة المنشودة بينهما.

من الواضح، إنّ روح التحدّي والتمرّد، نَمَتْ ببطء وثبات في شخصية المؤلّف السارد، ارتداداً على نشأة عائلية قاسية، وقمع اجتماعي سلطويّ شديد. كما أن سرديّته اكتسبت ذوقاً جمالياً_ مسرحياً وسينمائياً_ في زمن المقهى الأخويّ الحميم، قبل أن توضَع في وجه التحديات والهرب إلى خارج الحدود. وقد انعكس هذا الذوق أولاً في مجموعتيه القصصيتين (البقعة الداكنة) و(الأقفاص واللغة المشتركة) قبل انتقاله إلى الشكل الروائي. أصبحت اللغة المشتركة في القصص القصيرة تعبيراً روائياً غاية في الخصوصية، والدلالة على تأمّل الذات الناضجة، ووعي هويتها المنقسمة.

ناقشتُ، في أكثر من مناسبة، فكرة أنّ طريقة التداعي الحرّ (المونولوج الداخلي) في أغلب روايات إسماعيل فهد إسماعيل وسيطرتها على ذوقه السردي، كان بفعل التمرّد والقلق والحلم بمكانٍ بديل، والاستجابة المباشرة لتأثير السينما والمسرح والفنّ التشكيلي. استمكنَ أسلوبُ التداعي الحرّ استجابةً لضرورة أملتْها الأزمةُ الشعورية الداخلية للبطل المنقسِم، ورغبة الذات في الخروج من دائرة "الأقفاص المشتركة" والأحلام السينمائية إلى فضاء التجربة المحوطة بالأخطار والمصائر المنفردة. وساد هذا الشعور الباطنيّ روايات المرحلة الأولى (التحدّي والتغيير)، وما زلتُ أعتقد أنّ زمن الأحلام البيض والسُّود، قد وجد امتداده في أكثر من مكان، تحققت الهوية خلاله من وجودها الأمثل، وراء مرحلة الانقسام والعزلة.

انفصل إسماعيل فهد إسماعيل عن نسق الاستراتيجيات التاريخية، ليلتحق بنسق الذات المتأمِّلة شعورَها المغترِب عن المكان الثابت، والهوية الأيديولوجية المتصلّبة. وسيظل ((يحلم)) بمعادلة تعيد الانسجام والاتصال بين أزمنته الشخصية وضمائرها المتحاوِرة داخلياً، وراء تداعيات ربيعه المبكر. لكنّ هذا الحلم سيكرّر مرة بعد أخرى ذلك الشعور القلق بعدم الاستقرار والتلاؤم. وأظنّ أنّ معادلته الاستراتيجية ارتطمت أخيراً بقلق السؤال الآتي: ماذا نكتب، وكيف نكتب، وأين نكتب، كي نؤرخ لصدمة المتغيَّر الأخير، صدمة ثورات الربيع العربي، الذي فات إسماعيلَ تدوين ارتجاعاته المدمِّرة على هويته السردية (توفي إسماعيل فهد إسماعيل في الخامس والعشرين من سبتمبر ٢٠١٨).

الغد – ملف العدد

(البدون) إشكالية إنسانية وليست عرقية

جميل الشبيبي

في حضرة العنقاء والخل الوفي هي الرواية الخامسة والعشرون في سجل الروائي المبدع إسماعيل فهد إسماعيل، الذي واكب تحولات الذات في عمق أزماتها الروحية والوجودية ،واستشرف إشكالات الحياة والمصير والغربة ،عبر شخصيات إشكالية تحمل جنسيات عربية وأجنبية ،وفي روايته الجديدة هذه وابتداء من عنوانها نلحظ عمق وشمولية وجهة نظر الروائي إسماعيل فهد إسماعيل الذي يتخطى القوانين الوضعية الظالمة باتجاه القيم الإنسانية التي تنظر للإنسان نظرة كونية بعيدا عن العرق والدين والوضع الطبقي ، وهو يؤكد نظرته هذه في معظم رواياته التي كان الهاجس الأساس فيها أسئلة هذا الإنسان المصيرية حول ذاته بالعلاقة مع الآخرين .وقد اتضح ذلك منذ روايته الأولى (كانت السماء زرقاء) التي حملت تداعيات الذات وهي تواجه غربة مزدوجة حياتية ووجودية ، وفي هذه الرواية يستكمل ، غربة مواطن كويتي يصر على هويته ومواطنته ويدافع عنها ولكنه يجبر على غربة أبدية تضعه على هامش الحياة مهددا في أية لحظة بالطرد من وطنه.

ويحفز العنوان (في حضرة العنقاء والخل الوفي) على تأويلات شتى أساسها هذا الثلاثي العجيب وغير المتجانس (الغول والعنقاء) (والخل الوفي) وهما من المستحيلات في التراث الشعري العربي وقد تمثل في البيت الشعري الشهير:

أَيْقَنْتُ أَنَّ الْمُسْتَحِيلَ ثَلاَثَةٌ * الْغُولُ وَالْعَنْقَاءُ وَالْخِلُّ الْوَفِي

وإذا كان البيت الشعري، يؤكد يقينية شاعر مجرب استحالة وجود الغول والعنقاء والخل الوفي مجتمعين مع بعضهم، فأن رواية إسماعيل فهد إسماعيل الأخيرة، تعدل من تشاؤم ذلك الشاعر، وتسرد على مسامع الجيل الجديد من المتلقين فصولا طويلة وممتعة عن حياة العنقاء المتمثلة في شخصية (المنسي بن أبيه) السارد والشخصية الرئيسة في الرواية، والمتحكم الوحيد في ظهور الأصوات الواقعية والمتخيلة في فضاء الرواية، وعبر سرد فصولها الطويلة، في حين يتمثل الخل الوفي، في الأسماء اللامعة في سماء الكويت المعاصرة: المخرج المسرحي صقر الرشود، القاضي صلاح الفهد، المسرحي عبد العزيز السريع، الفنان سليمان الياسين، مبارك سويد، رسام الكاريكاتير ناجي العلي والروائي إسماعيل نفسه... هذه الأسماء الواقعية سعت إلى خوض نضال يومي عسير في غمار حياة شاقة، لإلغاء قانون جائر مكتوب على الورق منذ بداية تاريخ الكويت المعاصر، يهمش حياة الآلاف من الكويتيين بالولادة والانتماء والمعاناة، ويضعهم في الهامش المنسي، هم وعوائلهم،

ومما يزيد من مرارة هذه الحياة أنها تعصف بالجيل الجديد من الشباب والشابات من فئة (البدون) بالتهميش والإلغاء وضياع الفرص. والرواية تتوجه إلى هذا الجيل بتجسيد معاناة آبائهم واعتذاراتهم لأنهم لم يستطيعوا أن يفعلوا شيئا لهم، وأن جريرتهم الكبرى أنهم أتوا بهم إلى حياة شاقة يعرفون مرارتها ولكن ...

حاضر مرير ومستقبل غائم

يتجه زمن الخطاب الروائي من الحاضر إلى المستقبل، ويبدو حاضر السرد مجدبا لا يحمل شيئا من التغيير، فهو اجترار لعالم ساكن لا جدوى من الصراخ في أرجائه أو حتى التوسل، فهو بنية مغلقة على ناسها ويبقى المنسي منسيا في تلافيف هذه الحياة، وبهذا المعنى فإن خطاب الشخصية الرئيسية في الرواية، يتوجه إلى مستقبل لا يعرف تفاصيله لكنه مؤمن أن خطابه لابنته زينب سيصل إليها، وان المستقبل وان طال حضوره سيأتي بالأحسن والأفضل.

ومن مفارقات هذا الحاضر أن الشخصية الرئيسة فيه تشعر شعورا عميقا بالهوية، وتشتغل في فضائها، غير أن ما يحيط بها يشعرها بالغربة المريرة والهوان الذي يحيط بها ويبدد كل أمل في تغيير حياتها نحو الأفضل أي نحو الانتماء، ومن المفارقات الأخرى التي تجسدها شخصية المنسي بن أبيه انه (كويتي بالولادة) وأنه (غالبا ما يغفلون اسمي ينادونني ابن أبيه، لا غضاضة ان يصير منسي منسيا فعلا: الغضاضة في الدلالة..) فدلالة (ابن أبيه) تعني انه لقيط (كتب التاريخ تؤكد ذلك) لكن ذلك يمثل على وفق قانون الجنسية المعمول به كسبا وليس عارًا فـ (اللقيط أي لقيط مولود هنا يتمتع بحق اكتساب الجنسية الكويتية إذا بلغ الثامنة عشرة) ولهذا فهو يرى نفسه (أنا كما أراني لست مؤهلا لأن... ولا حاجة بي أن... اكتفيت أراقب عبر مسافة أمان كافية).

المنسي بن أبيه على وفق تصنيف (الخل الوفي) كويتي بالولادة أو كويتي بالريحة، وفي كلا الأمرين فهو على وفق القانون الكويتي لا يتساوى حتى مع اللقيط الذي يعطيه القانون حق اكتساب الجنسية عند بلوغه الثامنة عشرة...

يسرد المنسي بن أبيه فصول حياته المريرة إلى ابنته التي لم ولن يرها ابتداء من ماض مسور بالفقر والتهميش وحتى الفصل الثاني الذي سماه الروائي (فصل أخير) حيث يبلغ الكلام منتهاه بما يسمى (القول الفصل، هذا الفصل لا حول ولا قول له).

وفي هذه الرواية يعمد الروائي إسماعيل فهد إسماعيل إلى تعرية كل الحجج التي تجعل من مواطنين يحملون صفة الأهلية الكاملة للمواطنة الحقة في صف (البدون) وهي صفة جائرة ومشبعة بعقلية العرق الصافي في مجتمع هجين، تفرضها عقليات متخلفة عن دينها وإنسانيتها وتجعل منها قوانين ساكنة ومتحكمة بحركة حياة متجددة ومتخطية للكثير من الأعراف والقوانين...

تمثيل الواقع أسطوريا

والعنوان باعتباره عتبة مهمة في العمل الروائي، يكتسب هنا أهمية استثنائية عندما يرفع رتبة الشخصية الواقعية التي تحمل اسم المنسي بن أبيه إلى مصافي الأسطورة مستفيدا من أسطورة طائر العنقاء في التراث العالمي والعربي، فهو طائر وحيد، لا ينقرض أو يموت بل يجدد نفسه بنفسه حين يحترق ومن رماده ينبثق عنقاء جديد، فائق الشبه بالقديم يعود من فوره لمكانه الأصلي في بلد الشرق البعيد.

ويسميه العرب عنقاء مغرب أي صار غريبًا.

والمنسي ابن أبيه يشبه هذا الطائر الأسطوري في غرابة وجوده، ووحدته القاسية، وقابليته على البقاء، والتجدد، وبهذا المعنى يتماهى الروائي إسماعيل فهد إسماعيل ببطله إلى منزلة الأسطورة. وعلى الرغم من أن هذا التماهي عصي على الفهم، لكنه مجسد في الواقع المعيش، وخلال ذلك يبدو المنسي بن أبيه إنسانا مؤسطرا لاستحالة أن نجد مكانا في حاضر الأمكنة الإنسانية المعاصرة يتنكر لأبنائه بعدم منحهم ورقة صغيرة تثبت الانتماء إليه، في حين يستطيع هذا الكائن أن يحصل على وثيقة انتماء في أي مكان من هذا العالم المتمدن على الرغم من عدم ولادته فيه أو عدم ولائه وانتمائه إليه، وما يؤكد استحالة وجود مثل هذا المكان الذي يتنكر لمواطنه القويم -المنسي بن أبيه كنموذج مجسد في الرواية - في أرجاء هذه المعمورة الواسعة أن مذكرات المنسي بن أبيه تبدأ عام ألفين وعشرة نزولا إلى بداية سبعينات القرن العشرين، أي في عام من أعوام يتنفس فيه عالم البشر هواء العولمة التي جعلت هذا الكون الشاسع قرية صغيرة، وبنفس هذا البرهان سيكون (المنسي بن أبيه (عنقاء) تعيش في عالم يتنفس هواء هذه المواصفات.

يقول المنسي بن أبيه (انا كويتي نسبة لامي لكن هذا وحده لا يكفي، أراقب صبية كويتيين يماثلوني سنا، هل يصح لي ضمان مستقبلي أسوة بهم (....)الأمر أشبه باقتراب من نقطة الصفر حيث ضياع الفرصة إلى الأبد)وهذا الهاجس سيبقى ملازما له، حين يبقى مراوحا في نقطة الصفر حتى نهاية الرواية، الأمر الذي يرفع رتبته إلى مصافي أسطورة العنقاء التي لا نجد مثيلا لها في جنس الطيور الواقعية والأسطورية، فطائر العنقاء صفر بالنسبة لعالم الطيور، ويزداد الأمر غرابة واستحالة حين يغيب الخل الوفي المجسد في الشخصيات الثقافية الكويتية، لتكتمل الدائرة المغلقة التي بشر بها الشاعر العربي باستحالة وجود العنقاء والخل الوفي.

تقنية صندوق الذاكرة

يقترح المنسي بن أبيه على نفسه صنع صندوق (يسع أوراق فولسكاب) ينقش عليه اسم ابنته زينب التي لم يرها وهو ينوي توريثه إياها بعد أن (أدون ما يساعدك زينب على معرفة أبيك لدرجة الحضور الفعلي، سواء كنت في الغياب أو في حكمه)، ومن خلال هذه التقنية التي يبتكرها الروائي إسماعيل فهد إسماعيل، يتسنى لشخصية المنسي أن يستدعي تفاصيل متنوعة من حياته على وفق زمن مفتوح، وحرية مطلقة بالاختصار أو الاستطراد متخذا من النداء بصيغة (يا زينب) لازمة تضبط إيقاع سيرته الذاتية، باتجاه المجهول الذي تمثله ابنته زينب، وأيضا باستخدام الكاف كصيغة خطاب مباشر معها، مؤشرا على مروي له مشخص في الرواية زينب الشخصية الغائبة من فضاء الرواية .ومن مزايا صندوق الذاكرة، قدرته على التلقي في أي وقت او أية معلومة، وهو بصمته الأزلي، يعطي السارد الشخصية إمكانية البوح بكل ما يريد لغياب الرقيب، الأمر الذي يسمح للسارد أن ينسى أو يحذف ما يشاء منها، ويبدو من سرد الأحداث أن السارد، يقف في منطقة الحياد، لا يتخذ الموقف الذي يناسب رد فعله على الأحداث فرد الفعل كثيرا ما يكون على شكل تعليق ساخر او موقف متسامح، من شخصيات أساءت له وعمدت إلى تصفيته كالدكتور سعود مثلا وهو في سلوكه المحايد أو

الساخر من نفسه يشبه الحمار الذهبي في إحدى الروايات وهو يراه في حلمه القصير مصغيا إلى الراعية ايزيس التي وعدته (انا هنا لأحسن إليك وانعم عليك فاترك بكاءك وشكواك وانبذ الحزن الآن يبزغ يوم سعادتك بفضل عنايتي فأصغ إلى ما آمرك به ستتخلص حالا من جلد هذا الحيوان) لكن ذلك لم يدم طويلا فبعد أن أنهت حديثها (تلاشت في نفسها)... وعندما يحاول ابن أبيه العودة إلى النوم يدخل في حلم ثان يصاحب فيه زوجته وخلال الحلم تغيب الزوجة ليجد نفسه يهرول وراءها (ولا مناص من الركض) و(أنا والعدو صنوان متآلفان). والمؤلف يعيد إلى الذاكرة تفوهات بطل روايته الأولى (كانت السماء زرقاء): (اركض، اركض أن حياتي سلسلة من الركض...) وهي معادلة تشي بحياة شاقة أساسها الركض غير المجدي.

وفي الحلم تمحى الحدود في السرد، ويتداخل الحديث المباشر بغير المباشر، الحوار بالتعليق على الحدث، الزمن الماضي بالزمن الحاضر، كل في صياغة جديدة حتى على لغة الروائي نفسه الذي يخرج على مألوف كتابته بشكل مفارق:

(سمعتها تسألني: متى نصل؟ لو أصدقتها الرد قلت لها لا أعرف بديل ذلك طمأنتها. قريبًا. اِشتدت حركة الرياح في الجوار. هل أتعبك الركوب؟ أتعبني الصمت. للأحلام آلية خاصة بها، (...) (لا تجزعي ها أنا قادم إليك. أركض. لا غابة، لا أصوات جنادب، لا أثر لسينما السيارات، من الذي ضلل الآخر؟ أنا أم الطريق (...) أنا إزاء جدار أسود يميل إلى اخضرار فيروزي يضاهي لون النفط الخام، تراني حدست سبب انبعاث الرائحة المدوخة. أين أنت؟ استغاثتها الملتاعة تكرس شعوري بالفجيعة. أنا هنا في الجوار أسفل هذا الجدار، تحريته باحثا عن موقع يسمح بالصعود لم أسألني...) في هذا المقطع الطويل نسبيًا نحاول فيه التعريف بهذه القدرة الكبيرة للروائي إسماعيل فهد إسماعيل على إدامة حلم تتداخل فيه الرغبة في اللقاء مع الحبيبة او الزوجة وكوابيس الأحلام وهي تنأى عن مسارها الأليف لتدخل في منعطفات مكانية وزمانية، لا حدود لها ولا ضفاف، وخلال ذلك يبدو سرد الحلم متآلفا مع لغته المتشظية في هذه الصفحات، حين تمحى الفواصل بين الحوار وبين الإجابة على الأسئلة وبين تفاصيل الحلم والخروج منه والتعليق عليه ثم العودة اليه في الوقت نفسه.

في الحلم يتجلى الوصف المتناثر للأمكنة وحركة الزمن كل ذلك في آن واحد، وخلال نفس اللحظة يتم تحديد زمن الحلم واليقظة. والأحلام كما يقول منسي بن أبيه (نوعان منام ويقظة، الناس شاكلتنا لا يحلمون يقظة..) وبهذا المعنى فأن حلم اليقظة يمثل انتهاكا لقوانين الواقع المعيش نسبة لابن ابيه ومن على شاكلته، لأنه يحمل بذور أمل لحياة مختلفة. تلك الحياة التي أسسها منسي وعهود في الخارج؛ لكنه حالما عاد وجد أن القوانين (المنظمة للشأن السكاني المأخوذ بها بعد سنوات قليلة منعت المأذونين الشرعيين من تحرير عقود زواج البدون) ويعلق المنسي على ذلك بان المولود بدون وثائق ثبوتية هو بدرجة الصفر لأنه خارج السجلات الرسمية و(المعضلة المحيرة موتانا ممنوعون عن استصدار شهادة وفاة) وبسخرية سوداء بالغة يقول (لا اعتراض على الموتى والأحياء مطالبون أن لا يموتوا رحمة بذويهم).

المكان ذاكرة ممحوة

تتجسد غربة الشخصية الرئيسة في الرواية، من شبحية الأمكنة العامة، على الرغم من أن حياة المنسي امتدت فترة طويلة، لكن ذاكرته التدوينية لم تسجل سوى عينات محدودة من الأمكنة التي عاش فيها، واغلبها أمكنة مغلقة محدودة الفضاء والشخصيات، مما يؤشر على غياب الألفة مع المكان، وعندما يقع فضاء الوطن في قبضة الاحتلال، تنشط شخصية المنسي بن أبيه في التحرك والانتقال وسط مظاهر الخوف والرهبة من قبل جنود الاحتلال لكنه يمارس حياته بعبثية واضحة ضد هذا الوجود، مؤكدا شعورا داخليًا

بأنه يعيش على أرض وطنه إزاء هؤلاء القادمين من خارجه، كما أن مواقفه السلبية السابقة قد اتخذت أفقًا آخر، بانخراطه في قافلة المدافعين عن وطنه، فيقوم بأفعال كثيرة يمكن أن تؤدي به إلى الموت، وفي مثل هذه الأجواء الخطيرة يجد المنسي نفسه مواطنا، (شملتني حيرتي، هنا ناسي بلدي يحتاجني المصيبة معدن الرجال (...) متى نبدأ العمل...) .ويجد نفسه وهو يحمل هويته الجديدة الموقعة من القاضي صلاح الفهد، أي بلسان المقاومة (هنا أنا طوال خمس وثلاثين سنة عمر الواحد في كنف دولة مستقلة ذات كيان معترف به بقيت محرومًا من أية وثيقة انتماء رسمية، مع مصادرة الدولة كلها، مع غياب سلطتها، يولد كيان ثان من رحم الكارثة، المقاومة الكويتية (.....) وسط هذه الفوضى العارمة (...) تخصص المقاومة فسحة محبة، ترعى ناسها دون النظر للوائح معتمدة منظمة رجل القانون صلاح الفهد سماني كويتيًا).

في هذا المقطع تبلغ الرواية ذروتها بهذه المزاوجة الحية بين الواقعي ممثلا بشخصية القاضي صلاح الفهد التي لعبت أدوارًا مؤثرة في مسيرة إقرار العدالة في الكويت الحديث وبمواقفه ضد الاحتلال العراقي بالتعاضد مع مجموعة مثقفين متعالين على كل أشكال العسف والتهميش والإذلال أمثال صقر الرشود سليمان الياسين وغيرهم وبين الخيالي الذي يمثل هذا النسيج الروائي البديع التي يديم تواصله الروائي إسماعيل فهد إسماعيل، بلغته وتقنياته المبتكرة وخبرته الطويلة في معالجة إشكالات الحياة العربية المعاصرة.

ويزداد الموقف حرجًا من الموقف المتفرج على فئة البدون باعتبارها إحدى الإشكالات المحيرة في سماء الكويت الحديثة حين نلحظ أن الكويت ضمن تاريخها القريب تخطت وكسرت العديد من القوانين والأعراف التي تحد من حرية الإنسان تجاه فضاء الحرية الذي يشع ألقا في كل المجتمعات المعاصرة في العالم.

سيبقى المتلقي لهذه الرواية الكبيرة، معلقًا بين تفوهات المنسي بن أبيه وهو يحيا بفرح غامر حلم المساواة مع إخوانه في الوطن، بالهوية التي منحته إياها المقاومة الكويتية، رمزًا على دفن الماضي الأليم، وفتح صفحة جديدة للمواطنة والانتماء، وبين حاضر السرد الذي تكرسه نهاية الرواية حين يجد المنسي بن أبيه نفسه ساكتا (أبدًا) تحت سماء لا أثر فيها للغيوم بالمرة. وهي نهاية متشائمة لم يرد مثلها في كل روايات إسماعيل فهد إسماعيل العديدة فنهايات كل رواياته مفتوحة أبدًا على فضاء جديد، مما يثير سؤالا بحاجة إلى إجابة:

هل يمكن أن تكون رواية العنقاء والخل الوفي تاريخا وماضيا لواقعة اجتماعية – إنسانية أصبحت ضمن سجلات التاريخ لمحنة فئة البدون في الكويت بشكل خاص؟؟!!

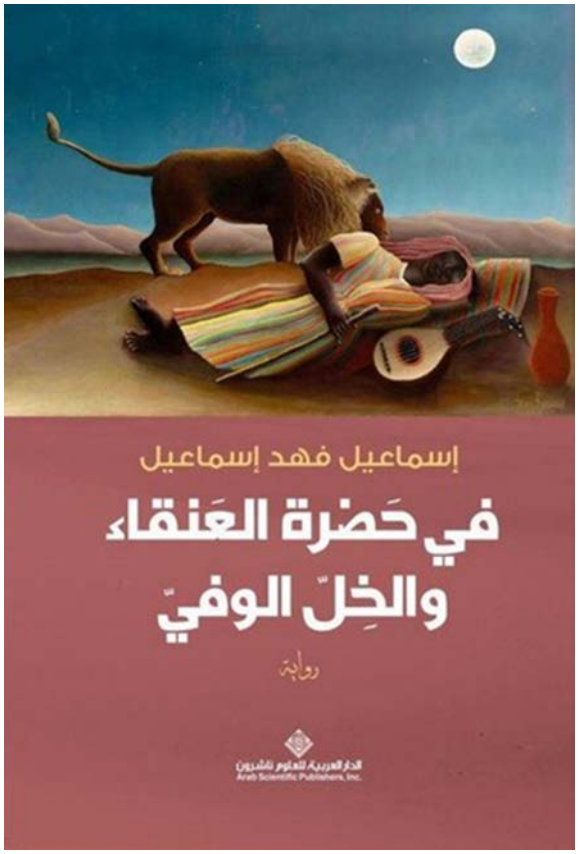

الغد – ملف العدد

علّمني إسماعيل كيف أكون

محمد عبدالجواد

إسماعيل فهد إسماعيل في مقدمته لكتابي القاسم مدينتي، التقيت محمد جواد للمرة الأولى قبل ما يقارب من ٤ عقود في منزل الموسيقار كوكب حمزة. هكذا قال «إمام الرواية» إسماعيل فهد إسماعيل، حيث كنت أزورهم في دار الحناء والبرحي، مدينة الطيبين البصرة الحبيبة. فمنذ البداية وحكايته عن «الكرة والباص» وبداياته الأولى، ثم التفت فوجد البقعة الداكنة، بعدها لاحت الأجواء الهادئة، فكانت السماء زرقاء، غابت الظلمة وبدت المستنقعات الضوئية. عاد والحيرة تمسّك بتلابيبه وذكريات الرفاق والزملاء وما أصابهم ومسلسل الاعتقالات والمصير المجهول، فجاء لينشر ما بجعبته ووضعها على الحبل. ثار الأصدقاء ودعوه للعودة إلى درب السلامة التي اختطها معظم أصدقائه وعدم ركوب موجة الفلسفات آنذاك، مال وكان لوعده الذي قطعه لهم، فحطّ بالضفاف الأخرى. وإسماعيل المشغول بالهمّ الأممي أفرد للهم العربي وما جرى للقضية الفلسطينية والانتكاسة فأصدر «ملف الحادث ٦٧»، وعندما حدثت مصائب لبنان كان بين الحشد العربي وشاركهم تأملاتهم وخوفهم، فكان بينهم وكتب «الشياح». التفت اسماعيل إلى مجتمعه الذي بدت عليه بوادر تفاوت الطبقات، وحال الوافد الذي اعتصرته الغربة وعيشته البائسة، فتناول هذه الفئة وسكب همومها من خلال «الأقفاص واللغة المشتركة». نادته وزارة التربية وأعدت له رحلة دراسية كي يتقن علوم الإذاعة وتطوير وسائل التدريس، فبعثته الكويت إلى مصر، فكان فرحه لا يوصف، فسيعاود الاتصال بصاحب البصمة الثقافية بدربه، الشاعر صلاح عبدالصبور، وصديقه القريب عبدالرحمن الأبنودي. تجوّل بمصر واستمع إلى حوارات أهلها وتجاربهم، فأتى ردّ الجميل أن سجل ثلاثية النيل يجري شمالًا، مما استفز بعض كتّاب مصر، فكيف لكاتب غير مصري يكتب عنّا؟ لكن هناك من كان أعقل من هذه الفئة، فأيدت إسماعيل لتكون الحصيلة: ١- البدايات والنواطير والنيل الطعم والرائحة. هدأ قليلاً ليبدأ عشقه بالكتابة، وكان لا بدّ أن يكون للأقلام الكويتية فسحة تليق بكتابه، فتحدث عن القصة العربية في الكويت. علاقة إسماعيل بالسينما والمسرح علاقة عميقة، وقد لوّنها سعدالله ونوس بكتاباته وعلاقته المتينة بإسماعيل، فكتب «دراسة في أدويب سوفوكلس»، ثم أردفها بدراسة عن مسرح سعدالله ونوس، فتوقف عند «الكلمة الفعل». ولم يبعد عن المسرح ولا عن وضع البلد آنذاك، فجاءت مسرحيته (النص)، أخذ نفساً عميقاً وعاد لأصدقائه ليكتب «الطيور والأصدقاء»، ثم خطا خطوة جديدة، لكنها كانت «خطوة في الحلم».

ويوم حدث الزلزال وكان الاحتلال، طلب منّي أن نذهب إلى البصرة، لكنني رفضت وأبلغته أنني أقسمت لن أدخل العراق ونظام الدكتاتور قائم، فردّ باسماً: ها نحن أدخلنا في دوامته، وأصبحنا ضمن إحداثيات زمن العزلة، فها هي الشمس في برج الحوت، وأصبح للحياة وجه آخر، وصرنا ضمن دوائر الاستحالة، ولعلنا نمسي في ذاكرة الحضور كي نتقي غضب البابليين، قبل أن يبدأ العصف الذي لا يُبقى ولا يَذَر. بعد مُضيّ فترة من زمن عاد به الهدوء لتعود به الذاكرة إلى أيام أبو الخصيب والسبيليات إلى صاحبه جعفر موسى علي، وأيام جراديغ التمور وأحداث تموز، رسمها جميعاً بلوحة رائعة «يحدث أمس». ظل الغزو ينهش بذاكرة إسماعيل، فأضاف له «سماء نائية»، التي طرق بها إسماعيل جانباً من مصيبة الغزو وبتأنٍّ ورويّة. في مكتب إسماعيل كانت تعمل سيلانية وتتحدث عمّا تعرضت له من استعباد واستغلال في بلدها، وكذلك يوم حطت أقدامها بدار لم يرحمها أحد، فذهب إلى سيلان، ورأى بأم عينيه وهو يعلم ما يدور حوله هنا، فترجمها جميعاً إلى «بعيداً إلى هنا». رجع إسماعيل إلى عمق التاريخ وعالم اللصوصية (اللصوصية قرينة الحرية)، فكتب «الكائن الظل». ظلت الصحافة تطالب إسماعيل بالكتابة على صفحاتها، فكتب النقد عن أدباء «مبدعون مغايرون»، ولصداقة علي السبتي خاصية ونكهة، فللسبتي ميزة جعلت إسماعيل أن يكتب عنه شاعر بالهواء الطلق. وللأديبة ليلى العثمان دالة على إسماعيل، ويوم طلبت الرابطة أن يكتب عنها، بقي متحيراً ماذا يكتب، فأخذ جزءاً من حياتها وسطرها «ما تعلّمته الشجرة». بقي المسرح يعنّ على بال إسماعيل، ولم ينفك عنه، وكان لصديقيه عوني كرومي وعبدالله يوسف الأثر بكتابته، للحدث بقية، والعرض لم يبدأ بعد، ثم جاءت سلام على لسان أحبته من شعراء وكتّاب. تلقف قضية سجن أبوغريب، فكانت إحدى قصصه الأربع التي احتواها «الكائن الظل».

وحديثي عن «عندما يكون اسمك في طريق ورأسك في طريق أخرى». إسماعيل الموقف وتضامنه مع مجموعة من الشباب المثقف الذي وجد الظلم يعتم حياتهم، فانبرى بكل وضوح والدفاع من خلال «في حضرة العنقاء والخل الوفي». بعد عذابات فراق الأسرى والأمل بعودتهم، وكان بدر الفهد أحد هؤلاء الأسرى، ومن أجل تبيان ما يحصل بالعراق، وذلك من خلال بعض العسكريين المتعاطفين مع أسرى الكويت جاءت هدية «طيور التاجي». لتطابق الشخصية وإعجابه بتمرّد هذا الشاعر، كتب «الظهور الثاني لابن لعبون»، ووصلت لحظة العودة إلى ديار ملعب الأقدام وإلى الجارة أم قاسم، فأراد أن يردّ الجميل لأهله وأحبته، ففتح نهر المحبة «السبيليات». ولعلاقة ناجي العلي وإسماعيل حالة متميزة وأهداف مشتركة، وبعد الغدر به لم ينسه فباح بسرّه من خلال «على عهدة حنظلة». وفي ليلة ظلماء وأمسية لمناقشة آخر أعماله، أعلن عريف الحفل مناقشة صندوق أسود آخر وهي آخر رواية لإسماعيل، فغضب عليه بعض الحضور، «لم هذا التشاؤم وجعلها آخر أعماله»؟ لكنه وكأن الموت أنطقه لتكون الليلة الأخيرة، وآخر كتابة حمل هموم فئة البدون. مضت سنوات خمس، لكنك ستبقى بيننا. إسماعيل أنا معك.

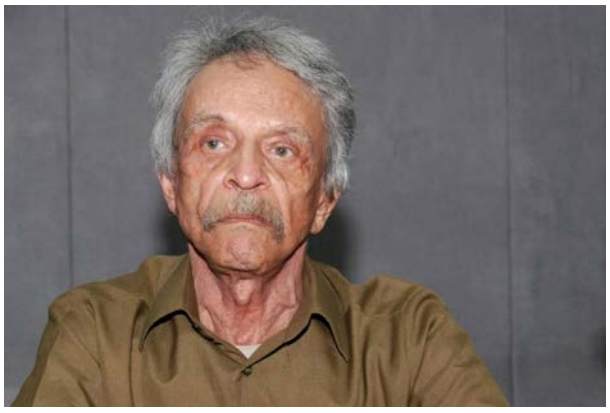

الغد – ملف العدد

إسماعيل والقضية الفلسطينية

فهد توفيق الهندال

كانت القضية الفلسطينية أكثر حضورا في القصة من الرواية، لكون القصة هي الأسبق وجودا وكثافة في الفن السردي الكويتي منذ خمسينيات القرن العشرين، حيث شكّلت فلسطين مبدأ والتزاما لدى الكثير من كتّاب القصة في الكويت، فانتشرت عشرات القصص عنها في مجاميع قصصية عديدة لهم.

ولأن الأستاذ الراحل إسماعيل فهد إسماعيل المؤسس يعدّ المؤسس الفعلي والفني للرواية في الكويت مطلع السبعينيات، كان أكثر من حرص على حضور فلسطين إنسانيا في أعماله، عبر شخصيات فلسطينية، إما واقعية كناجي العلي في روايتي (في حضرة العنقاء والخل الوفي) و (على عهدة حنظلة)، أو شخصيات متخيلة مشاركة في رواية (الشيّاح) و رواية (الحادثة ٦٧) بما تعبّر عن الإنسان الفلسطيني الواقع تحت مطرقة الشتات وسندان السلطة مما يعبّر عن واقع عربي حتمي ومستحق، يستظل به الكاتب العربي نشر قضاياه، مخاطبا الجيل الآتي من الكتاب والقراء في أهمية تمركز هذا الجرح العربي في كتاباتهم.

في رواية (ملف الحادثة ٦٧)، وقد قدمت كمسرحية من جانب الفرقة القومية التونسية لتنال جائزة مهرجان قرطاج قبل سنوات. يدوّن فيها إسماعيل تفاصيل التحقيق الذي أُجري لبطل روايته وهو خباز من أصل فلسطيني، حيث يتهم بجريمة قتل لشخص فلسطيني أيضا في سرد اعتمد خطي استجواب الحاضر واسترجاع الماضي. ليحاول التحقيق المنشغل بصخب المذياع المرسل لمختلف أنواع الأخبار اثبات تهمة الجريمة على شخص لم يرتكبها في يوم من الأيام فقط لأنه فلسطيني. والمتلقي لهذه الرواية يسبر أغوار عمق الرواية في ما يراه الكاتب من محاولة التاريخ الصاق تهمة الجريمة/ الهزيمة بضحايا الحرب أنفسهم، من شرّدوا و قتلوا وأسروا ودفعوا ثمن التهجير وفاتورة الحرب دون غيرهم. وما رفض المتهم من الاعتراف بالجريمة، إنما شريعة المحقق ليستمر عليه العذاب. "استمرار الرفض هو استمرار التعذيب". حتى يصل فيها التحقيق إلى نهايته حيث اعترف آخر تحت التعذيب بأنه الجاني للحادثة ٦٧ ليصرخ الخباز: "أنا لم أكذب يا سيدي.. القاتل.. النيابة.. هو الذي يكذب.. القاتل هو الذي يكذب".

وعن سباعية (إحداثيات زمن العزلة)، يذكر إسماعيل فهد إسماعيل في عدد مجلة العربي ٤٩٧ تحت عنوان (الغزو والرسم بالكلمات) شهادة للتاريخ ومنصفة عن الفنان الفلسطيني إسماعيل شمّوط الذي كان مقيما في الكويت:

”حدث الاحتلال. الانشداه والذهول، وكان أن تداعت أصوات طيبة.. فلسطينية وأخرى كويتية لتشكيل لجنة تهدف للتنسيق والتعاون ما بين الكويتيين والفلسطينيين من أجل تحقيق وحدة صف ناس الداخل لمواجهة العدو المشترك. شاءت المصادفة أن أكون أحد أعضاء اللجنة، وشاءت أن يكون الاجتماع الأول في منزل الرسام الفلسطيني العالمي.. عضو المجلس الوطني الفلسطيني: إسماعيل شموط، في منطقة الجابرية.. كان ذلك في اليوم الثامن للاحتلال، وعندما انفض الاجتماع استبقاني إسماعيل لدقائق. أخذني من يدي لإحدى صالات منزله حيث مرسمه. أراني لوحة زيتية قيد العمل.

قال والأسى يغلف صوته: ”أنا عاجز عن مواصلة الرسم” صمت برهة. أضاف: ”لعل السبب يكمن في توالي هذه الأحداث الجسام التي يعجز العقل السليم عن استيعابها” كانت زوجته الفنانة السيدة تمام قد التحقت بنا حاملة صينية الشاي.. خلال جلسة الشاي انفرجت أسارير إسماعيل قليلاً. قال بما يقرب من الدعابة: ”ما رأيك والغزو قائم أن تتحول أنت إلى الرسم، وأتحول أنا إلى الكتابة؟!” لم أر مانعاً عن الاستجابة وقتها: ”وهو كذلك”.. اللجنة باجتماعاتها المتواصلة. وما عن لأحدنا أن يسأل بهذا الخصوص.. أشهر الاحتلال، ومن ثم الحرب الجوية، فالبرية.. صبيحة اليوم الثاني للتحرير دخل علي إسماعيل شموط حاملاً مجلداً ضخما من الأوراق المطبوعة على الكمبيوتر. قال ضاحكاً: ”وفيت بوعدي وكتبت”.. فوجئت بالوزن الثقيل للأوراق التي جاوز عددها أربعمائة. تذكرت اتفاقنا الذي هو أشبه بالدعابة. قلت: ”لكني لم أرسم!” ضحك ثانية. قال ”أدري!”، أضاف: ”لعل جهدي هذا يفيدك كروائي”.
تصفحت الأوراق بعد ذهابه. وجدتها كنزاً لا مثيل له. كان قد حرص على تسجيل أهم الأحداث والأخبار المتعلقة بالاحتلال والحرب يوماً بيوم، سواء منها ما يخص الداخل أو الخارج، لم يترك شاردة ولا واردة. لحظتها راودتني فكرة أن أكتب رواية تدور بأحداثها حول الاحتلال.

انكببت على حالي أكتب لأعوام ستة دون أن تفارقني أوراق إسماعيل شموط. كانت مصدراً أساسياً فريدا لإلهامي، ورفدي بما يلزمني من معلومات، ريثما تحققت رواية ”إحداثيات زمن العزلة”.

وبعد، هذه بعض النماذج من روايات إسماعيل فهد إسماعيل، وهي الأغنى في حضور فلسطين سردا وجرحا عربيا وإنسانيا، لعلنا نوفي أستاذنا بعضا من حقه علينا، مؤكدين حرصنا على تشجيع الشباب العربي في استحضار فلسطين إبداعا وهوية وتاريخا في ضمائرنا وكتاباتنا وإبداعاتنا.

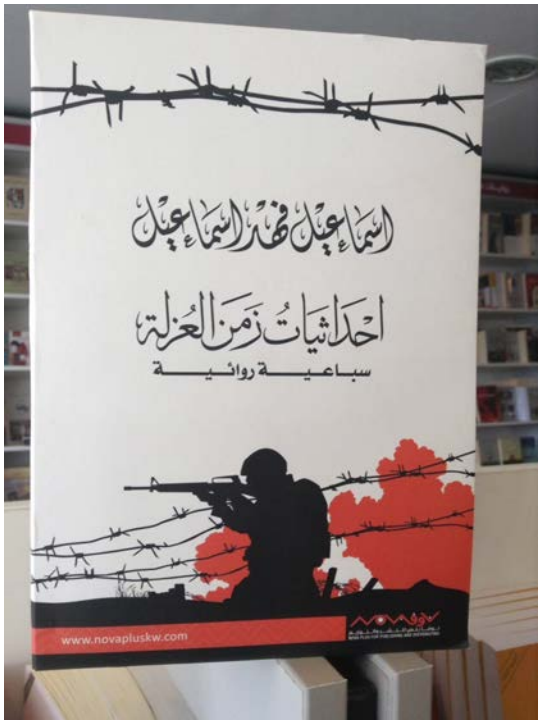

الغد – ملف العدد

إسماعيل لا يزال هو إسماعيل

شمائل بهبهاني

امتزجت روحه مع تراب الأرض وجذور الأشجار

إسماعيل لا زلت أراه في لحظات أمل وإشارات حياة

يمر عليَّ كشهاب في السماء فأعقد عليه أمنياتي وصلواتي.

حين يعبر اسمه على لسان أحدهم، أتماهى مع صفاء قلبي الذي أزاح عنه مرور الاسم كل الأضغاث فأرنو للإصغاء عاقدةً كفي يدي على منطقة سكنه وسكونه، قلبي.

أرى في الاسم لحظة تصوف تغشاها نشوة الإدراك، إدراك روحه ويقين حقيقته.

إسماعيل المتماهي في كل شيء وكل إنسان حقيقي هو إسماعيل، كل كتاب هو إسماعيل، كل وطني هو إسماعيل، إسماعيل نهر أم قاسم ونيل مصر الذي يجري شمالا وتراب الكويت، إسماعيل هو كل منسي والمنسي هو الخل الوفي.

لحظة إدراك أرى فيها إسماعيل يخاطبني في صميمي بصوته المعهود ويلمع في جوف روحي لا بل هو الروح التي تسقيني رحيق الأدب والانسانية. فهو لا يزال يصب فيني كل الاطمئنان.

لحظة إدراك، بل لحظة لجوء وفرار مني لروحه، احتمي في كنفه كطفلة تائهة حتى أدرك عنده السلام.

إسماعيل أرى فيه شبهي وطباعي، حتى حروف اسمه بعضها مشاركة بيني وبينه؛ الميم والألف والياء واللام.

والسين أخت الشين، أما العين فهي عينه الحارسة علي.

خمس سنوات على وفاته رسخت فيني حضوره. فإسماعيل لا يزال إسماعيل ولا زلت أنا في إسماعيل.

الغد – تربية وتعليم

لا للعصا

شاكر مجيد الشاهين

نتيجة للعنف الدائر في العراق والذي تزايد بعد ٢٠٠٣ ولحد الآن تدور في أذهان بعض المسؤولين، هيئات تعليمية - إدارية، مهمة الرجوع الى العصا لإنجاح العملية التربوية - التعليمية، واضعين خلفهم، وبتجاهل كبير البحوث والنظريات التي تعطي المقدرة للمعلم - المعلمة في عملهما التربوي- التعليمي، والتي أثبتت هذه البحوث بوسائلها العلمية مدى النجاح التي حققته في محافلها التعليمية دول كانت ترزح تحت التخلف بكل صنوفه، وهي اليوم في أوج تقدمها وتطورها الحضاريَّن، مما اثبت إنه يمكن الاستغناء عن العصا لو اعتمدت تلك الطرق التربوية النفسية في معالجة السلوكيات الفردية او الاجتماعية العامة، وهنا لدى الطالب - الطالبة حيث يكون المردود الإيجابي في سير العملية التربوية - التعليمية، ومدى نجاحها في خلق جيل جديد يتسم بالقيم والمؤهلات المادية والمعنوية في مجالات الحياة العامة، خاصة عندما يتبوؤون مراكز حسّاسة في القرار الرسمي في الدولة والحكومة، أو في تنفيذ مشاريع تنموية سواءً في القطاع العام او الخاص.

وإذا كان الطالب - الطالبة ركنين من أركان عملية التربية والتعليم فالركن الآخر المعتمد عليه أيضا للحصول على الإيجابية المطلوبة في هذا المجال الحيوي لتطور المجتمع (التربية والتعليم) هو المعلم - المعلمة، المدرس - المدرسة، في الهدف الرئيسي المرتجى تحقيقه في مستويات أعلى في بناء الأجيال الواعية فهل تعمل المديريات التربوية العامة على إيجاد فرص ترقية رُسُل التعليم معرفة وعلما ضمن اختصاصاتهم المتعدّدة لسد الثغرات الناجمة بسبب ضعف وركاكة الفهم العلمي لمتطلبات عملية التربية والتعليم بشكلها العصري الحضاري بجو ابتعاد المعلم - المعلمة عن متابعة المستجدات النظرية والبحوث العلمية التي تطورت كثير من الدول المتخلفة عن طريقها، نظريا وتطبيقيا.

كم رزحت مجتمعات أخرى تحت التخلف الوخيم عندما ابتعدت عن ساحة المتغيرات في حقول التنمية، خاصة التربية والتعليم حيث المواضيع التقليدية والتلقين الاعمى وحَشوُ اذهان الطلبة - الطالبات بأفكار خاوية لا تتناسق مع التطورات العصرية - الحداثية، بالإضافة الى عدم الاهتمام بالبنى التحتية، بناء مدارس حديثة، مختبرات، نشاطات للرسم والنحت والتمثيل، بالإضافة الى الانشطة الرياضية من اجل بناء قدرات متكاملة لشخصيات قادرة على التفاعل والتعامل مع معطيات الحياة الفردية والاجتماعية التي لا يمكن التغلب عليها إلا بالمعرفة الرصينة وفق برامج تعليمية حيّة لا يطأ ساحتها الضعف في الإدراك والتطبيق الفاعل.

نأمل أن يكون طابع العلاقة بين المدرسة - الجامعة، والمسؤولين في الدولة والمنظمات الأخرى، إيجابيا- تعاونيا، مع تحريم التدخلات السلبية في شؤون التعليم بكافة مراحله، بترك الحرية لإدارة المدارس والكليات بهيئاتها الذاتية بإتخاذ قراراتها وباستقلالها الذاتي الكامل.

الغد – طب وعلوم

ما هي الحاسة السادسة؟

د. هاشم عبود الموسوي

الحواس الخمس المعروفة هي (البصر، والسمع، واللمس، والتذوق، والشم) ومن خلالها نستقبل انطباعنا عن العالم المحيط بنا، وبواسطتها يُميز الذهن ويعرف أين توجد، وماذا نصنع، وما نشعر ولنحس ولنتصرف ونسلك بما يُناسب مختلف المواقف.

وبدون هذه الخواص نصبح أشبه بمجموعة من الجمادات التي لا تملك أن تدفع عنها ضرراً أو تسعى لنفع، تلك هي الحواس الخمسة، أما الحاسة السادسة فهي تلك التي يحاول العلماء ويسمونها حاسة "الإحساس الفذ" أو "الإحساس المُسبق" أو "التنبؤ" الى غير ذلك من مُسميات لظواهر ملحوظة عند بعض الناس لم يعرف العلم عنها حتى الآن سوى القليل. من ذلك مثلاً أن يفكر صديقان فكرة واحدة في وقت واحد رغم ما بينهما من مسافات بعيدة، وكأن رسالة انبعثت من ذهن أحدهما الى الآخر، كما أن هناك أشخاص عندهم قدرة على قراءة أفكار الآخرين.

وهنالك بعض الاحاسيس الخارقة يتمتع ٢٥ % من البشر يمتلكون قدرات خارقة بعضها «للنساء فقط»، وبعضها لكلا الجنسين.

ظل وجود القوي الخارقة للطبيعة منحصرًا ضمن الكُتب المصورة، أو أفلام الخيال العلمي، ومع ذلك؛ يمتلك العديد من البشر حواس فائقة مُثيرة للدهشة، تعمل بقدرات أبعد كثيرًا عن قدرة الإنسان العادي، فمن القدرة على تذكر الوجوه، إلى استطاعة رؤية ألوان لا يراها الناس، مرورًا بحاسة التذوق الخارقة، كلها قدرات شائعة أكثر مما يتصور البعض.

ويعتقد أن حوالي ١ إلى ٢ في المائة من البشر لديهم ذاكرة خارقة للمألوف، إذ يستطيعون التعرف على وجوه جميع البشر الذين قابلوهم في حياتهم، وتذكرهم على مدى فترة طويلة من الزمن، وهو أمر «خارق» للعادة، فالإنسان الطبيعي يمكنه التعرف على ٢٠ في المائة من الوجوه التي لمحها من قبل، غير أن الأشخاص ذوى الذاكرة الحديدية؛ يُمكنهم التعرف على ٨٠ في المائة من تلك الوجوه.

«سوبر ركوكنيزر» أسم يُطلق على مُتذكري الوجوه الخارقين، وهي ظاهرة عُرفت قبل قرون، فالأباطرة الرومان استخدموا أصحاب الذاكرة الخارقة أثناء الاحتفالات والمناسبات المُزدحمة، للتعرف على الاعداء المُندسين وسط الزحام، وحديثًا؛ استخدمت الشرطة البريطانية أحد ضباطها للتعرف على ١٨٠ شخصًا قاموا بأعمال الشغب في عام ٢٠١١. التفسير العلمي لتلك الظاهرة يكمن في الدماغ، فهناك نوعان من المناطق الصغيرة المُخصصة

لعملية التذكر والموجودة على جانبي المُخ، ويُعتقد أن البشر المحظوظين بتلك الهبة لديهم نشاط في تلك المناطق.

يملك الشخص الطبيعي نحو ١٠ آلاف من براعم التذوق على اللسان، وهي آليات تسمح للإنسان بالتعرف على الطعم، سواء كان مالحا، حامضا، حلوًا أو مرًا، ويمتلك البعض نحو ضعف هذا العدد، اولئك هم المتذوقون الخارقون. وفقًا للدراسات العلمية، يمتلك ٢٥ % من البشر خاصية التذوق الخارقة، التي تُمكنهم من الإحساس بالنكهات الغريبة الموجودة بالأطعمة المختلفة، لكن؛ هل تُعد تلك الحاسة نعمة؟

الإجابة هي لا، فوفقًا لبحث منشور في جامعة «كونيكتيت»، تكون أجساد المتذوقون الخارقون أقل حجمًا، بسبب استيائهم من تذوق الأطعمة الحلوة والدهنية، وهم أكثر عُرضه للإصابة بسرطان القولون بسبب تجنب تناول الخضروات لإحساسهم بطعمها اللاذع؛ الذي لا يُدركه معظم البشر، علاوة على ارتفاع خطر الإصابة بأمراض القلب لديهم.
النساء يختلفن جينيًا عن الرجال، الأمر الذي أهل بعضهن للحصول على قدرة خارقة حصرية على الإناث، فنسبة من السيدات يتمتعن برؤية الألوان بصورة أكثر حيوية، والكشف عن الفروق الموجودة في الظلال، بسبب طبيعة شبكية أعينهن.
هناك ثلاثة أنواع من الخلايا المخروطية في شبكية العين لدى البشر، تستجيب تلك الخلايا لأطياف مُختلفة من الضوء، وبالتالي تختلف الألوان، بعضنا يملك خلايا مخروطية يشوبها عيب جيني، يجعل التفرقة بين اللونين الأحمر والأخضر، على سبيل المثال، أمرًا في غاية الصعوبة، فيما تمتلك بعض النساء نوعًا من إضافيًا من الخلايا المخروطية في عيونهن، وهذا يعنى رؤية تفاصيل إضافية لا يمكن للشخص الطبيعي رؤيتها. النساء يحتكرن خاصية الرؤية الخارقة للمألوف، لأن الجين المسؤول عن خلق الخلايا المخروطية يقع على كروموسوم X،

وحيث أن النساء لديهن اثنين من ذلك النوع من الكروموسات؛ يُمكن أن تحدث تلك الطفرة عن طريق تكوين ٤ خلايا مخروطية، على عكس الرجل، الذي يحتوي شريطهم الجيني على كروموسوم X وحيد.

يصعب على مُعظمنا تذكر الأمور كما هي، فسيكون مُجهدًا للدماغ البشري أن يسترجع التفاصيل الدقيقة ليوم مر عليه شهر، ناهيك عن تذكر ما حدث في اليوم نفسه قبل عدة سنوات، لكن البعض قادر على تذكر كل ما حدث في حياتهم، بفضل ظاهرة نادرة تُسمي «هايبر سيميثيا» أو الذاكرة شديدة التفوق.

«أوريليان هايمان» طالب في جامعة «دورهام» البريطانية، يبلغ من العمر ٢٢ عامًا، وبحسب ما يشير موقع ديلي ميل، يستطيع هذا الشاب تذكر الأحاديث التي دارت في أي يوم من حياته، الملابس التي كان يرتديها، البرامج التليفزيونية التي شاهدها أو حتى أغاني البوب التي اعتاد سماعها في زمن مضي، باختصار؛ يستطيع ذلك الطالب تذكر كل شئ. ظهرت قدرة «أوريليان» عندما كان في سن ١١ عامًا، ليبدأ العلماء في إجراء دراسات على دماغه، ليكتشف الباحثون إن ذكرياته طويلة الأجل يتم تخزينها في كلاً من الفص الجبهي الأيمن والأيسر، خلافًا لباقي البشر الذين يخزنون ذكرياتهم في فص الدماغ الأيمن فحسب، وهو الأمر الذي عزز حيوية الاحتفاظ بالذكريات، وساهم في سرعة استرجاعها دون جهد. ولكن، هل قوة التذكر مثل كومبيوتر عملاق شيء محمود؟، يقول العلماء إنها يمكن أن تكون لعنة مُصاحبة لحياة الفرد، لأن تفاصيل الصدمات الحياتية ستظل إلى الأبد في دماغ صاحبها، بنفس الوضوح على مر الزمان.

الغد – أدب وفن

الشقيقة.. "الصداع النصفي"

الدكتور الصيدلاني
جبار وادي الخفاجي

زائر غير مرغوب به ..
ألم قاسي يتسلل اليك ويطفئ أنوارك..
ويحيل أيامك إلى عذاب ولوعة..
ويسرق منك كل رغبة لقراءة أو كتابة..
وتضيق أمام عينيك كل الدنيا على وسعها
تفقد القدرة على التركيز...
ويبدأ الحزن يغلف يومك وساعاتك فتنتعش الكآبة..
وتشم رائحة الضجر والملل والحزن..
منذ صباي تعرفت على هذه الشقيقة التي لم تلدها أمي..
فقد كانت زيارتها الأولى لي أيام الدراسة المتوسطة..
وتوثقت علاقتها معي.. كل هذا العمر الطويل..
وأصبحت من ضحاياها المعمرين.. المميزين...
تزورني بين الحين والآخر...
وتطيل بزيارتها؛ وبعد أن تملأني حزنًا وألمًا وضياعًا..
تغادر بهدوء.. وعلى شكل أقساط..
لتتركني مهدود الحيل.. شارد الذهن..
أحاول جاهداً أن أستعيد قواي..
وأعود إلى سابق عهدي..
أشعر أنها قست عليّ كثيراً بزيارتها الأخيرة لأني لم أعد أملك القوة والقدرة على مقاومتها وتحملها بعد أن فعلت بي السنين ما فعلت..
فاستسلمت لها صاغراً ودعواتي إلى الله أن لا تطيل بزيارتها..
لذلك أنا.. مشغول بها.. رغماً عني..
ورغم فرحي وبهجتي بتوديعها وانتهاء زيارتها...
إلا أن خيط من المرارة والحزن يبقى عالقاً بذاكرتي..
فهي كما يبدو تملك فيزا لزيارتي
مفتوحة ومتعددة...
ففي أي وقت للأسف اتوقع زيارتها وحلولها ضيفة غير مرحب بها...
أبعد الله عنكم
هذا الصداع المرير ...
والشقيقة التي لا ترحم...

الغد – أدب وفن

حسين كاكائي: عين تكشف ما وراء القشرة!

محمـد
الجــزائــري

تغيب اسماء الأمكنة والموجودات ويتحقق الجمال، تلك العين التي تخرج بمهاراتها على حدود العدسة ومن صُلبها ،وعلى علمية "الرقمية" وبفضل سحر تقانتها، جعلت هذا الفنان القادم من مدينة النار الأزلية، يتحرى المخبوء تحت القشرة، حيث اعتاد منذ طفولة وعيه أن يرى إلى شمس تشرق وسط جهامة الليل، تخرج من جوف الأرض، و لم يدرك بأن لتلك الأرض زيتها المنير اليوقد شعلته ناراً، بل تـمَثـَّـلـهُ شمساً تنبع من جوف الأرض ولا تأتي من سمت السماء، وهذا ما جعل كركوك مدينة "إلهية"، يتعبدها القاصي والداني من أرباب التكنولوجيا والأسلحة وصناعة الحروب والسلام وسلع الثقافة والأحلام، فهي منبع أصيل لطاقة قد لا تنضب، ربما لأنها بعض عمقنا الحضاري والإنساني منذ أول الخلق والتكوين، هي أرضنا الطيبة التي نحب، شعلة خلود، شمس وصيحة.

ترسب هذا المكشوف المكتشف عن المخبوء الغائب المُغيّب، في وعي (حُسين كاكائي١٩٥٩م) مثل حقيقة أزلية، وربما كان هذا وذاك من عوامل صيرورته فنانا، ومن لوازم حساسيته البصرية، لذا لم يكتف بالخط، وهو مجوّد في قواعده وتلاوينه، ولا بدراسة "الغرافيك" أكاديمياً لأربع من السنين في بلجيكا، لأنه قد يؤمن بأن النسخ والطبع، ربما يحدان من حرية رؤاه، ولجأ كمقاربة تقنية ثلاثية، إلى الرسم يمازج فيه بين التجريد والحروفية ،ولم يكتف، ولم يتوقف، بل صارت عينه الثالثة صحبة جولاته ومروريات حياته، حالته المستديمة وهواه وشغفه الأول، عيناه، عيناه تماماً، كانتا تتلمسان المحكي وتكتشفان داخل تجاويف الصمت وتغوصان في بئر الرؤية المجهول و النائي عن مظهره، ليجلو عن طبقات(الكلام) ما هو غير مرئي ولا مسموع، ولم يفعل له سوى أن يُظهره إلى العلن فيمكث فيه، هكذا، على صورة أخرى، كما لم يعرف من قبل، ومن دون أي تلاعب محتبري.
فأي كلام "غير مسموع" هذا، وأية رؤيات "غير ملموسة" إلا بنتائجها، اهو يشتغل على الغائب الحاضر، الظاهر المخفي، مثل طبقات رؤى المتصوفة؟ أم هو كشف كما لو كانت من مواد في الطبيعة، تظهر في دورق الخيمائي، التراب ذهباً، مثلاً، واليورانيوم دفينة تظهر بعد المعالجة؟ والتخصيب؟ كلا لا هذا ولا ذاك، بل هو محض (عين) ثالثة، ترى ما تراه العين المجردة.
أتكتبْ هنا وأحلل، عن هذا الذي يبدو" اللغز" لكنه بيّنٌ بحقيقته الجمالية كأنصع ما يكون العلن..

هذه (الحالة) الماورائية والواقعية جداً في الآن نفسه، صارت أنسه ووداد نتاجه الفني، وزوادةَ طـُرقهِ، ورفيقته حين يجوب الآفاق، بل صارت وسيلته وكشافه ورسول فنه، فهي (مَنْ) تستخرج المخبوء والمستور وتمنحه (الأسماء) والمعاني المغايرة أو هي الوسيط الذي يسوِّق المضمر المهمل الهامشي والمنسي، ليكون نصا جمالياً صادحاً ويغني!

تلك الصور، في غنائيتها اللونية، تجريدات، تتمازج خطوطها وسطوحها وكتلها وشفراتها (الستاتيكية) المجردة، وهي تتحول من (الغائية) الخبيئة تحت قشرة الأشياء، إلى جوهرة للألق والتباهي، تغوي المتلقي للمسها والتبحر بها، ليسمو بنفسه عبر فيوضات ألوانها وجمال تكويناتها وعلى وفق مدهش، بل على كيف ما ترتاح إليه نفسه ومقلتاه، وما تتركه فيه من سرور متوتر عذب وتحفيز بهيج متواصل، في الآن نفسه، هي حداثة فرضية وليست افتراضية، فاعليتها تشتغل على الإزاحة غير القسرية للمعنى القديم وشكله وبنيانه ومسماه ومعناه عند البـِلى، كشيء مادي ،مُخـَلـَّفٌ مهمل ملقى على قارعة الطريق، كالأشياء المطرودة والمتخلى عنها عادة، أو هو من نواتج شيخوخة الأشياء والموجودات(كالبيوت الآيلة للهدم وحيطانها) أو أية كتلة أو جزئية مادية من سقط الحياة والمجتمع، فينقلها الفنان عبر عينه الثالثة من تلك (الذاتية) المنسية المهمشة والمزاحة والمبعدة (الموات)، في "كلية" ذلك السالف المتداعي الغارب، ويقدمها مجداً ذا بريق في كلية حداثية، ذات مظهرية تجريدية وسمت جمالي لافت، كأن النص الخارج من صلب المطرود والمنسي ومن خبيئته غير المنظورة، خلقٌ آخر، هو فيما يضمره من نص مرئي جديد، الفارض فتنته بسحر بيانه وجمالياته كوردة المشتهى ومسرة الناظر. ثمة من يؤمن بأن الشعر هو البصيرة، والشاعر هوالرائي، لكن تبقى "الصورة أساس المعرفة" كما ظن "كانت"، وصدق ظنه..

وحسين كاكائي (الخطاط الغرافيكي الرسام) ليس شاعراً، بالمعنى التقني، بل صار كذلك بالمعنى الكنائي لمنجزه الجمالي (الفوتوغراف)، وإنه رؤيوي في آن، لأنه استنبط الشعر خلال رائيته الرقمية التي قادتها مقلتاه ووجهها وعي خبرته البصرية، فأظهر بأن الصورة أساس الجمال أيضاً.

وبذلك الفِعال الجميل الحسن ألغى ما تبقى من حاجز وهمي بين الشاعر والرائي منتج الجمال.

ومم؟

ليس فقط من الطبيعة الحية وجمالياتها المعلومة المنظورة الميسرة، فذاك معتاد وشائع، فالمناظر الطبيعية تحت بصر، وفي خدمة، الجميع، وقد صورها الرعويون كلهم من بدء التصوير حتى دروس تعليم مزج الألوان ونقل صورة الشيء إلى الورق أو القماشة عن الشكل الموجود أمام ناظر الطالب، أو صورة المنظر أو الشخص.

عند حسين، وفي تجربة الفوتوغراف تحديداً، وهو موضوع كتابتنا هذه، التلقين مشطوب، والمعرفة المسبقة العلمية بالنتائج مستبعدة، فالصورة، هنا، ليست معادلة رياضية، أو جمع واحد زائداً واحدا، بل هي مفاجأة تهديها الطبيعة المخبوءة تحت قشرة الأشياء إلى أنظارنا عبر كشّاف مرهف وحساس ويقيني مؤمن بما يفعل، وتستجيب له آلته السحرية، مثل حاسة سادسة مثقفة تعتد بحدسها الصادق، ومبرمجة مثل سواها من آلات التصوير الفوتوغرافي على أحسن ما تكون عليه معطيات تقنية المعلوماتية وسلعها الثقافية، لكنها عند حسين تستجيب للمهارة الشخصية، فتظهر تلكم المخبوءات و"لها الأمان!"، إذ تتشكف عن مفاتن لا توصف، مفاتن ليست عضوية كجسد موديلات الرسم والتصوير، فيزيقية أو جينية، كجزء من مكون المادة، خشباً أو اسمنتاً أو حديداً او لدائن أو لحاء، أو تربة، أو مويجات مائية متلاطمة ومتدرجة، بل تظهر كصورة ببعدين (طول وعرض)، مع بعدها الثالث الافتراضي الذي يخلقه الإيهام البصري، وهي صور قابلة للطبع والتكبير والتسويق والترحيل، كمحض نصوص مرئية تجريدية ذات غنائية لونية عالية، غالباً وحتى بـ (اللونين) الأبيض والأسود يمكن الإفادة منها في التزيين- الديكور وتغليف الجدران والعلب والهدايا، وأغلفة شتى المطبوعات، والإعلان الضوئي والشارعي والسوبر ميديا، ذلك يتم نتيجة فعل فيزيقي حركي أنتج عملاً ستاطيقياً محضاً، بعد أن يمد الفنان في مسبار عدسته الرقمية لتصبح، بحق؛ السابر الصابر والكاشف المتيقن والمتوغل الدؤوب، والمنتج المثابر، فتخرج للمتلقي كنوز ما تحت قشرة الشيء المصَوَر، وهي ليست ألعاب تسلية، إنها جماليات لا تصلح للعبث ولا للّهو واللعب، ككرات الزجاج الملونة أو البالونات، بل لهي خزين جديد يخرج من داخل المهمل المادي الجامد وربما من القبيح أيضاً والمتروك والفائض عن الحاجة، أو المتهدم والوسخ والصدئ والمتعري والمتآكل والمنفوخ والمبعوج في الحيطان أو سطوح الحديد والصفيح والأبواب القديمة والشبابيك المخلوعة أو الكارتون المقوى الفائض عن الاستعمال، ومن اللدائن والخشب العتيق والأثاث المستهلك كالكراسي والطاولات ومقاعد استراحة الحدائق العامة والمتنزهات والشوارع والساحات، أومن ألواح الرسم ذاتها والمساند والطاولات المهيئة للمواد، ومربعات الحجر في بلاط الشوارع والصالات، بل في ذلك كله وأكثر كما في أوراق الخريف، وخيوط المطر والجليد وارتجاجات مياه النهر عقب حركة زوارق السباق أو السياحة النهرية، وريش ذيل الديك المذبوح، وملعب الثلج المتجمد على سطح المياه في أنهار "خينت" وبحيرات المحميات، ومن ثنايا شقوق الحيطان ولحاء الشجر، والأعشاب والأغصان المتكسرة الطافية في زوايا الأنهار، كما زهور المياه الراكدة، و رغوات الصابون على حواف البالوعات، وبقايا الإعلانات والكتابات و"الشخابيط". ولم يهرب من عدسته مستطيل سقف سلم المبنى الذي أسكن، وكان في مرحلة التجديد والترميم وإعادة الإعمار، فعلّق، وهو يستخرج كاميرته على عجل ويمد بجسده النحيل ليدنو أكثر وبأناة (زوم) هادئ ويد ثابتة، نستمع إلى صوت انفتاح العدسة ثم انغلاقها وعودة الزوم كرأس سلحفاة إلى التراجع فالاختفاء، نسمع صوت الآلية الفيزيقية ونلحظ تحسسه البصري للشكل المادي الظاهر، كما لو كان بوحاً، لم يكن الفنان عجولاً في مهمة الالتقاط، كما لو كان يحكي وذلك (الشيء) الجامد (غير الأنسي) ليخرجه من (شيئيته) المادية إلى سحر الصورة فيؤنسنه، هكذا في دقائق، تظهر على الشاشة صورة مغايرة تماماً. وقبل أن ندخل شقتي، تمتم:

-" سيتغير هذا المستطيل الصدئ لدى زيارتي القادمة، ربما يُطلى او يُغطى، ولن أحظى به هكذا".

وكانت الـ"هكذا" لوحة من التوازن والجمال والأخاذية، ربما تعجز عن مداها التقني وجوانيتها المستخرجة، أية مقاربة فنية من تابيس إلى شاكر حسن، في كل ما استلهماه من الجدران ورسماه على القماشة أو الخشب أو الورق!

الطبيعة السرية للطبيعة هذه وشيئيات الجمادات والمهملات، لتنتصر، هنا، على الطبيعة العلنية في (الفورم واللون) معاً، وفي الحصيلة، فتشكل صورة أو شكلاً مختلفاً واقعياً واجناسياً، هو خارج التخييل والمتوقع وفي صلبه في آن.

أن فاعلية الآلة (الكاميرا الفوتوغرافية المحمولة باليد) كوسيط تقني أو وسيلة مادية وسلعة ثقافية) حققت غاية جمالية (غير مادية) وشكلاً مغايراً..

فهل تجاوزت هذه الحالة "واقعية الكم" من دون الحاجة إلى تنظير منهجي عن الذرة والمادة وطيف الألوان؟

حين يعود حسين ليصور الأماكن المعروفة ذاتها في موسم آخر، تتغير السحنات في الجزئيات، ولا تتغير جغرافية المكان كحدود مادية، كالبحيرة المقابلة لمتحف الفن الحديث في خينت، عبر موسمين الربيع والخريف، ومحمية "بورغوين" في الصيف والشتاء، كمشاهد مفتوحة على الطبيعة مباشرة، لكن في التقاطات حسين وبأسلوبه ذاته السبر- مجهري للشكل المادي الملحوظ والمرئي، تتوّلد أيضاً مرئيات جمالية ترقى إلى الخيال، والمختلف، هنا، وغير المتوقع يتركز فيما تجود به عين حساسة وراء عدسة ذكية كما لو كانت تقشط قشرة المرئيات!

وحين يعيد تصوير الأمكنة من الزوايا ذاتها وليس في الرؤى ذاتها، يكون كمن تعلّم الدرس الدلالي في الإعادة، وليس النسخ، من " كونستانبل" ودراساته عن المكان الذي يعود إليه بعد عشر سنوات، مرات، ليعيد رسمه مع المتغيرات..

ولتلك تجربة ملفتة وصبور، في تقصي المهارات وتعميقها خلال دراسة تأملية لفاعلية الزمن وأثره على قشرة الأمكنة وحيثياتها وحركة البشر.

(فقط) أنظروا- لطفاً- إلى الصور المرافقة، هل تتصورون ذلك؟

هل تجدون فيها "زبالة" أنهر وسطوح حاويات وتآكلات جدران وفضلات طبيعة؟

ومهملات زمن استعمال مضى، وعاديات بيوت وناس، وواقع معبور مقبور؟

أم ستجدون فيها صناعة فذة للجمال؟

ترى هل (الله) يداعب (عباده) الفنانين ويقترح على الذين استدعاهم لجنة المبدعين :كاندنسكي وموندريان و تابيس ومحمود صبري وشاكر حسن كي يعلمهم أو ربما يعلمنا - من خلالهم- طرائق جديدة للصبر والتأمل والبحث وانتاج الجمال؟
وإلى حسين كاكائي، بخاصة، للتعرف أكثر على جوانية الأشياء، فهذه النيوترونات المجهرية والذرّات والجزيئات الواقعية المطمورة في الجسد المادي للأشياء المهملة، انتجت لوحات تجريدية بهذه الرفعة من الغنى اللوني والضبط التصميمي وقوة الإنشاء والتكوين، وبوسيلة أو وسيط تقني رقمي هو: الكاميرا وحدها، من دون أيما قطرة زيت، ولا معجون صباغة إكريلك أوكتلة باستيل أو ذرات طباشير ملون أو أقلام فحم ورصاص؟
هكذا، صورمن أصول شديدة الواقعية، صارت تجريدبات ذوات غنائية لونية عالية الحداثة، متميزة البناء، تبهج وتمُتـِع!!
إذا. صدق البرت آينشتاين حين اعتبر: "الخيال أكثر أهمية من المعرفة، الخيال يحيط بالعالم".
حسين كاكائي تخيل ما سينتجه السَبْر بعين "الديجتال" حين تغور تحت قشرة الأشياء لكنه لم يحدد (شكل) هذا الخيال، الذي هو(جمال) مخبوء لا نظير له، لا يحيط بالعالم حسب، بل ينبع من الأرض وما عليها، وهذا يعني أن لا "موات" كاملاً ونهائياً في الكائنات والجمادات، أو "الأشياء"، لا فناء بالمعنى التجريدي المطلق، ما دام الجمال يتوّلد مما يبدو بأنه موات ونهاية عمر استهلاك، ومقذوف خارج الرؤية ومتعة البصر والاستعمال لأشياء في درجة الصفر.
هنا، الفنان يستلهم طاقة الرب في كونه " يُخرج الحيَّ من الميّت "!!
لا تستغربوا ولا تـُكـّفـِرونِ!
فكلكم تستطيعون ذلك!
شريطة أن تمتلكوا حساسية الفنان وثقافة مقلته ورهافة أنامله وتعامله الحنون مع (الآلة) عدسة الكاميرا الرقمية وتحكمه.

الغد – أدب وفن

معابر جامعة البصرة (الطبكة).. صناعة وتاريخ

عامر جاسم العيداني

جامعة البصرة هي إحدى أكبر وأقدم الجامعات في العراق. تقع في مدينة البصرة في جنوب العراق ... .تأسست في الأول من نيسان (أبريل) سنة1964 ، وتم بنائها في الجانب الشرقي لنهر شط العرب، في منطقة تسمى التنومة (قضاء شط العرب)، وهي منطقة زراعية معزولة وقلة عدد سكانها من الحضر يسكنون في دور تمتد على جانبي الطريق الموصل إلى الجامعة.

وكان الوصول إلى الجامعة بالنسبة للطلبة يعتبر معضلة ومعاناة بسبب عدم وجود جسر يربط بين ضفتي النهر، حيث يتم العبور باستخدام الزوارق الخشبية (البلم) واخرى ذات تعمل بمحركات الديزل او بالعبارة (الطبكة) التي انشأتها بلدية شط العرب وهي صغيرة الحجم تسع لحمل سيارتين وعدد قليل من الركاب.

في عام ١٩٦٧ قامت جامعة البصرة بالتعاقد مع المقاول ثابت سعيد نعوم وشركاؤه لإنشاء معبرين، وبدوره تعاقد مع المتعهد الحاج كاظم جعفر عمران العيداني الملقب بـ (الحداد) وشريكه كاظم محمد سعيد، حيث بدأ العمل نهاية عام ١٩٦٧.

وتحاورنا مع ابن العم الحاج جواد الحاج كاظم الحداد بما تجول به ذاكرتنا حيث كنا نعمل من ضمن طاقم العمل، في عملية بناء المعبرين اللذين تم تسميتهما على اسمي الرحالتين والعالمين العربيين (ابن ماجد وابن فضل النجدي) في منطقة نهير الليل على ضفة شط العرب في مرفأ (كودي كما يسميه اهل الشط) الذي يملكه الحاج عبدالحسين جيتا (شركة كوكل) والتي تقع قرب مكابس ٧ نيسان للتمور ومجاور لبيت مارين (العائلة المشهورة بصناعة التمور).

وكانت عملية بناء هياكل المعبرين يعمل فيها عدد من الفنيين والعمال أطلقت عليهم عناوين وظيفية مستمدة من اللغة الانكليزية، البليتر.. مفصل الصفائح (البليت) وحديد الزاوية ومعه خمسة عمال يساعدونه. والبرشام (الرفيتر) طارق المسامير لربط الصفائح بواسطة المشن (مطرقة الهمر الهوائية) التي تعمل على ضغط الهواء، والسندلجي الذي يقوم بسند المسمار من الجهة الخلفية باستخدام المطرقة ليقوم البرشام بطرقه، والنفاخ الذي يعمل على كورة الفحم الحجري (الكوك) من احماء المسامير الحديدية لتصل إلى درجة التوهج والاحمرار، والحماي الذي يتناول المسامير بواسطة الملقط (المنكاش) ليضعه في ثقوب الصفائح.. واللحام الذي يقوم بربط قواعد المكائن وهيكل(القمارة) غرفة القيادة..

وللتاريخ ذكر أسماء الذين عملوا في بناء المعبرين، وهم كل من (الحاج خيري جعفر عمران العيداني، والحاج ناصر حمد الكطان، وجلوب حسين، وجاسم محمد، الذين كانت وظيفتهم (بليترية).
وجاسم جعفر عمران العيداني، وحسن حمد الكطان، وعباس الحجي (ربيترية).
وشاكر سويد، وقاسم حسن، (لحيمجية).
وعامر جاسم جعفر، ومصطفى كاظم جعفر (النفاخين).
بالإضافة إلى عمال (السندلجية)، والحاج جواد كاظم كان جوالاً بين المهن، ومحاسبًا، وغيرهم لم تسعفنا الذاكرة بذكرهم.

وكانت أجور جميع العاملين لا تتجاوز الـ (مائة دينار) أسبوعيًا.

ويذكر أن المنطقة التي تم بناء المعبرين فيها، كان يسكنها النازحون من مناطق الهور ومحافظة ميسان، في دور من القصب، حيث يعملون في معامل كبس التمور ونقلها إلى الزوارق التي تسمى (المهيلة) المصنوعة من الخشب.

وقد انتهى العمل في العبارتين منتصف عام ١٩٦٨، وتم تسليمها إلى جامعة البصرة، وبإشراف المكتب الاستشاري للجامعة، ومهندسي دائرة التفتيش البحري التابعة لشركة موانئ العراق، ودخلتا للخدمة بنقل الطلبة بين ضفتي شط العرب بالتناوب، وهي للتوضيح لمن لم يعرفها عِبارة عن (زورقين كبيرين) مرتبطين مع بعضهما وتكون مسطحة ومحاطة بسياج حديدي، وفيها بوابتين متخالفتين في العمل عند العبور من جانب إلى الجانب الآخر، أي بوابة الصعود في الذهاب تكون بوابة النزول في الإياب، وهكذا بالتعاقب ذهابًا وإيابًا، وفي كل زورق محرك ضخم ذو صوت عالٍ ومميز. وكانت لهذه (الطبكة) القدرة على حمل عشرات الأشخاص على سطحها المنبسط. ولها مرسى خاص على ضفتي شط العرب، وتنقل ستة سيارات وعدد كبير من الطلبة وأهالي منطقة التنومة، لفترة امتدت حتى بداية الثمانينات، حين دخلت الحرب العراقية، وتسببت بتهجير أهالي منطقة التنومة، وغلق الجامعة، ومن ثم هدمها بالكامل، ونقلها الى الكرمة في موقعها الحالي.

الغد – أدب وفن

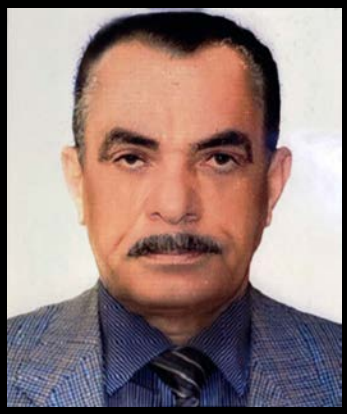

سجل ديون الزبون

د. يسر الفرطوسي

أسرع القائم على معبد المدينة في سيره، حاث الخطى ليكون أول الواصلين إلى المكان الذي فيه "عاتي" ممدد، جثة هامدة على جرف النهر، يتبعاه في سيره، مساعده ورجل الشرطة السرية بمسافة ليس قليلة، وبسرعة وقبل أن يصلاه، رمى في النهر زجاجة الخمر الفارغة الملقاة بجانب الجثة، وبخفة جمع الاوراق المبعثرة في المكان، وأخفاها في جيبه، بعد أن ألقى على ما كتب عليها نظرة خاطفة، ثم أشار إلى معاونه، الذي وصل قبل الجميع، وأفهمه إلى ضرورة الاستفادة من موت عاتي، الذي لم نستفد منه حيًا، وحين وصل جمع من الناس، وتجمهر حول الجثة، صاح رجل المعبد بصوته الجهوري، ذلك الصوت المعروف لديهم، والطارق لمسامعهم يوميًا، معلنًا أن المكان الذي توفي فيه "عاتي" على جرف النهر، تعد بقعة مباركة مقدسة، وسيكون عليها مزارًا، أكرامًا له وتبركًا بكراماته، أشار إلى ذلك، بينما قام بعض أتباعه بلف الجثة بغطاء لرفعه، وأمرهم بأن يكرموا مثواه، والقيام بمجلس عزاء مهيب، وطلب من الجميع المشاركة في هذا المجلس، ونصحهم بالتبرع بالمال اللازم لبناء مرقد، يليق بهذا الزاهد والمسالم البسيط، ويليق أيضاً بالمدينة التي سيجلب لها هذا المرقد الكثير من الزائرين والسائحين، وخاصةً أن المرقد سيكون على مقربة من النهر، بين الأشجار الباسقة وضلالها الوافر، وشدد في قوله بأن التبرع بالمال والجهد لبناء المرقد أمراً لازماً على الجميع، وفوراً من الان، ولا يجوز التملص منه أو التقاعس فيه، وأوضح بأن المشاركة في بناء الضريح فيه أجر عظيم، مما دعى البعض إلى جلب معاولهم ومجارفهم بسرعة، لشق الأساس لبناء المرقد، تحت أشراف رجل المعبد ومساعده، فيما جلب الميسورون مواد البناء ومستلزماته، يتبارون في الاستعراض أمام رجال المعبد وأمام الجمهور.

كان البعض قد وصف عاتي في حياته بالفيلسوف، وبعض أخر رمز له بـ "خذ الحكمة من رؤوس المجانين"، بينما نعته آخرون بأنه أبله يهذي، رغم أنه لا يتكلم كثيرا، ولا يطيل في أي حوار، بل يكتفي بترديد عبارات بصوت خافت، منها مثلاً "لا تفرحوا بالانتصار فالحرب ستحرقكم" وحين يسأله أحدهم عن أي حرب يقصد، يجيبه بكلمة واحدة لا غير "القادمة"، مما يدعوا البعض للإلحاح عليه بالأسئلة، فيلوذ بالصمت ويولي الادبار، ولأنه غير مؤذ، يتجمهر حوله بعض الصبية، ليقص عليهم بعض القصص والحكايات الجديدة، مثل قصة السمكة الصغيرة التي عصت أمر أمها فخرجت من الماء إلى الشاطئ لتلتقط حبة عنب كانت مطروحة على اليابسة، وما أن تذوقت حلاوتها، حتى تحولت زعانف هذه السمكة إلى أطراف، واختفت الاصداف من على جسمها، وأصبحت تطلق صوتاً، سمي فيما بعد بالنقيق،

وحين لم يصدق بعضهم هذه الحكاية، ويشككون في صحتها، يرد عليهم مبتسماً فرحاً في شكوكهم، ويصفهم بغابة الشياطين، ويردد "سبحان من جمع الخير والشر والجمال والقبح في أناء واحد"، وإن تمادى القلة من الصبية في التنمر عليه، يهددهم بأن القدر سيقتص من المتجاوزين في يوم ما، وأن هذا اليوم قادم لا ريب، وهذا ما يثير مخاوف المنغمسين بالروحانيات، فيتجنبون إيذائه، ويبعدون عنه الصبية، ويغدقون عليه بالعطايا وإن كانت بسيطة، ويتباركون في لمس ثيابه، تلك الثياب الخالية من الاناقة، وقد علق في جيبه الامامي زوج من الأقلام، وبعض قصاصات الورق، وحين يسأله أحد عن فائدة القلم في جيبه فيرد عليه "سأكتب فيه وصيتك الاخيرة".

غير أن حكاية السمكة الصغيرة التي تحولت إلى ضفدع أعجبت الكثير من المعلمين والمدرسين، فنقلوا هذه الحكاية إلى تلاميذهم وطلبتهم في المدارس، مما أغضب رجال المعبد، وراحوا يكيلون التهم لتلك المدارس، وحملوهم مسؤولية تعبئة أدمغة الشباب بأفكار متمردة، الشباب الذين راحوا يبحثون عن أصل حكاية السمكة الصغيرة، وكيف تتناقض مع أفكار المعبد، وهدد رجال المعبد بحرق هذه المدارس، إن لم تلتزم بتعاليم المعبد العريقة، والمتبعة منذ قرون من السنين.

عاتي الذي كان موته مفاجأة للجميع، وأمراً غامضاً ومبهماً، مثل الحكايات عنه في دنياه، وهي كثيرة، تجمع بين الخرافة والخيال، والمدينة ملآى بالحكايات، والناس مدمنون على تلاقف هذه الحكايات، واللوك بها ومضغها، قصص وحكايات لم يستهلكها الزمن، بل تتجدد وتتحور، ويتمسك بها الحفاة، بينما المثقفون ورواد الأندية ومتأبطي الكتب، من طرفهم، لهم رأيهم الخاص، دونما الغوص فيه، بينما تتناقل العجائز والحفاة وبسطاء الناس، الحكايات المفرطة في الغرابة واللامعقولية، مثل الادعاء بأن عاتي يستطيع السير على سطح ماء النهر، دون أن يغطس فيه. رغم إنه كان يغطس في ماء النهر صباح كل يوم ليغتسل، حتى في الأيام الباردة، وبين فترة وأخرى تدخل أحدى العجائز على خط الحكايات، فتدعي بأنها ذات ليلة مقمرة، وبينما كان الناس نيام، رأت عاتي بلباس ابيض وعمامة بيضاء يحلق في السماء، أو يمتطي فرساً وبيده رمح، يدعو الناس إلى الاستقامة والابتعاد عن الموبقات، وهناك من يجزم بأن له أصحاب من الجن يتبادل معهم الأحاديث ليلاً، بهمهمات غير مفهومة، بغرفته الخافتة الإضاءة، في البيت القديم الذي ورثه من أهله، والبعض يعتقد بأن عاتي يتخذ من أحدى "الجنيات" زوجة له، يحادثها ويتسامر معها في غرفته المعتمة، ليلاً، مما دفع مجموعة من الفضوليين إلى الولوج ليلاً وخلسةً إلى الخربة من خلال بابها الخشبي المهلهل، والتصنت إلى همهماته عبر نافذة الغرفة، ليؤكدوا في اليوم التالي تلك الاشاعات.

ومن الناس من يفضل عدم الاقتراب من حكاية عاتي، أو الحكايات حوله، خوفاً من الإثم والخطيئة، أو قول الباطل كما يعتقد، ويفضل أن لا يكون طرفاً في أمر عاتي، أو الخوض فيه، فهو أمر خارج عن الإدراك في أسراره، وأن العلم بأسراره فقط عند "العلام العليم"، وفضلوا أن ينظروا إلى الأمور من بعيد، مخافة أن يتحملوا الذنوب...

يتبع الجزء الثاني في العدد المقبل

الغد – أدب وفن

قراءة تحليلية للقصيدة النثرية الموسومة (الأغنية الأبدية) للشاعرة سهاد البندر

بقلم إيثار محسن

الأغنية الأبدية
رسالة من شهيد .....
حبيبتي.....
لا تصنعي دميةً من معطفي الذي ثقبه الرصاص
هذه الدمية الحزينة محشوة بنخالة من دمي
ومطلية بالصبغة الحمراء..
أنه لون دمي المسفوك على أكفّهم
لا تقديمها لطفلتي
دعيها تحلم بالياسمين
انا اشاهدكم... من نافذتي
لا تقلقي
هنا ...ما من احدٍ يصوب بندقيته علي
ما زلت فتى انيقا جميلا
وكل الآلام التي ادمتْ رئتي...برئتُ منها
هنالك ...أشاهد شيئا شامخا
تسطعُ من ورائه الشمس
هل هو تمثالي...
انا الآن أقوى وأجمل منه
لقد خجل الموت مني جدا
إذ قلمتُ اضافره السوداء
وشعر بالأسف
وفتح لي نافذة لأرقبكم منها
.....
وأنت يا أخيتي...
افردي ضفائرك
صيري شجرة دفء
للحاضرِ... والغائبِ... لحلم مخطوف
هدير ماء... يملأ الأعشاش
يملأ الأغصان
وتنز به الأرض
هلمي انهضي وزغردي
انظري هذا البريق اللامتناهي
يحلُ من سرة الشمس العظيمة
لا تحزني... ولا تتواني
فالقطارات تسير مسرعة نحو النهايات
افتحي ابوابك
خذي الراية من يدي
لا تسمحي لهم أن يبدلوا لون دمي
او يقرأوا تعويذةً على عتبتي
او يسيروا حفاة نحو قبري

فأنا هنا قد أقسمتُ...
أن احفظ اغنيتي الأبدية
قبل أن اعود للشهادة مرة ثانية
****

وهي أولى القصائد في مجموعتها الشعرية (القميص الأبيض) الطبعة الأولى لسنة ٢٠٢٢الصادرة عن دار أمل الجديدة.
اختارت الشاعرة عنوانا جاذبا لقصيدتها وهو ذا دلالة عميقة تتوافق مع ما يحمله النص الشعري من معان، فالأغنية مفردة لطيفة لما تحمل من كلمات جميلة مليئة بالمشاعر والأحاسيس ملحنة ومنغمة ومنساقة فيسهل تلقيها، ثم تصف هذه الأغنية بالأبدية، وهي صفة ملازمة لكل شيء حقيقي، وهي صفة الديمومة بغض النظر عن تعدد الحيوات التي تعيشها او المراحل والحقب الزمنية التي تمر بها.

تستهل الشاعرة القصيدة بعبارة (رسالة من شهيد) فيفهم القارئ أن فحوى القصيدة من نسج خيال الشاعرة لأن الشهداء لا يبعثون برسائل أو أن الرسالة آتية من عالم ما بعد الموت... لذلك سنطلق كلمة الراوي بدل كلمة الشهيد حيث جرت أبيات القصيدة على لسانه، كذلك بينت هذه العبارة أن هنالك معركة وأطراف متحاربة، فنوهت عن الكثير رغم قصرها.
تبدأ الرسالة بكلمة (حبيبتي) وهي صفة أطلقها الراوي على امرأة مجهولة الهوية، ينهيها أن تصنع دمية من معطفه المثقب بالرصاص، في هذه الجملة الشعرية البليغة يفصح الراوي عن وجود طفلة ما وفي ذات الجملة تبين طريقة موت الشهيد.
يسترسل الراوي بوصف الدمية وشرح اسباب رفضه لصنعها من معطفه المثقب، بأنها دمية حزينة محشوة بنخالة من دمه ومطلية بالصبغة الحمراء وهي دلالة على سفك دمه على أكف أعدائه.

يعود الراوي ليؤكد على حبيبته ان لا تقدم هذه الدمية لطفلته بل تدعها ان تحلم بالياسمين....
تُصور الشاعرة بأن خيوط الخوف ومشاعر الحنين ما زالت ممتدة بين الشهيد وعائلته فلا تحدها عوالم مختلفة وأنه يوصي حبيبته أن تدع ابنته تحلم بالياسمين فهو رمز للحياة الهنيئة والعيش الرغيد، حيث نفهم من سياق الكلام أن هذه الحبيبة هي زوجته وأما لأبنته.
ثم يعود ليطمئن حبيبته أنه لا يزال يشاهدهم من عالمه الآخر عبر نافذته ويكمل.. (لا تقلقي).
إذن هو يعرف بالمقابل أن حبيبته قلقة عليه فعالم الأرواح لا يعترف بوجود حواجز حسب رؤية الشاعرة، ثم يبدأ بشرح الظروف التي يحياها في عالمه الآخر، بأن ما من أحدٍ هنالك يصوب بندقيته عليه، ويستمر بشرح حاله بقوله (ما زلت فتى أنيقا وجميلا) ... وأنه قد برئ من كل الآلام التي ادمت رئتيه.
أن هذا الشرح الذي قدمه الراوي ما هو إلا حالة من اللاوعي في خيال الشاعرة، فهي محاولة منها لتطمئن نفسها على حال هذا الرجل.
ثم يشاهد الراوي شيئا شامخا تسطع من ورائه الشمس، فيتسأل... هل هو تمثالي...
هذا التساؤل عن التمثال يأخذنا للبحث عن رمزيته... التمثال دلالة لمجد الشهيد في الحياة الدنيا وقد تَشَخّص بشكل مادي وملموس واضح للعيان والدليل على ذلك الشمس من خلفه قد سطعت بنورها.

ثم يقارن الراوي نفسه بالموت وبأنه (أي الشهيد) الأجمل والأقوى حتى أن الموت خجل منه بعد أن قلم أضافره السوداء...إن هذا الوصف يبعث للتأمل.... تصور الشاعرة أن للموت مشاعر كأنه إنسان يشعر بالخجل والأسف...لماذا يشعر الموت بالخجل؟ سؤال يطرح نفسه... وماذا يعني الراوي بقوله (إذ قلمتُ أظفاره السوداء) ....
إن شعور الموت بالأسف يأتي نتيجة تقبل الشهيد للموت على الرغم من شبابه، وأن الموت حق على جميع المخلوقات.
يصف الراوي قسوة الموت بالأظافر السوداء التي نهشت روحه وسلختها من جسده...وأن هذا التقبل كان بمثابة كسر عين القسوة...والتي ُرمِز لها بتقليم اضافره السوداء،
حتى أسف الموت وندم على فعلته وفتح له نافذة يرقب بها هذه الحبيبة وطفلته.

في الجزء الثاني من الرسالة يفصح الراوي عن هوية المرأة حين يناديها بأخيتي.
فالأخت هي حبيبة مخلصة وهي السند لأخيها كما ان الأخ سندا لأخته ...هذه الحقيقة اثبتتها تجارب الحياة منذ بواكيرها.
(افردي ضفائرك).... يأمر الراوي أخته بفرد ضفائرها وهي دلالة على حالة السكون والرضا والاسترخاء والنعيم في جنة الأنوثة... يوصيها أن تصير شجرة دفء، الشجرة بأغصانها المتفرعة ملاذ آمن للطيور وبظلها يحتمي كل من دب على وجه الأرض ناهيك عن عطائها الجزيل بأطيب الثمر ويذَكر الراوي أخته أن تكون شجرة دفء للحاضر.. ويقصد به ابنته ...والغائب ويقصد به نفسه وحلمه المخطوف...وهو مستقبله.
ثم إنه يقدم لها خيارا آخر... هو أن تصير(هدير ماء).. صوت الماء.. صوت الحياة...هذا الصوت يملأ الأعشاش.. يملأ الأغصان... تنز به الأرض... فتتعدد اشكال الحياة بفعل جريان الماء.

(هلمي انهضي وزغردي)... وهذه الأفعال تعبير للفرح حين يكتمل المشهد باجتماع الأحبة... يأمرها أن تنظر إلى البريق اللامتناهي ...يحل من سرة الشمس العظيمة
ثم ينهاها بقوله (لا تحزني ولا تتوانى).. هذا النهي له أسبابه فالحزن مثبط للهمم... والتواني يكسر العزيمة.
(فالقطارات تسير مسرعة نحو النهايات).. القطارات هنا دلالة الحياة فهي تسير مسرعة بنا وأن الكل سوف يموت ويلتحق بالنور والبريق اللامتناهي الذي يحل من سرة الشمس العظيمة وهي دلالة على مصدر النور أي الخالق.
ثم يأمرها أن تفتح أبوابها وتأخذ الراية من يده اي أن تبقى على طريقه وتحافظ على مبادئه التي مات من أجلها.
وأن لا تسمح لهم أن يبدلوا دمه... أي لا تعطيهم الفرصة أن تحيد عن مبادئها فيتبدل دمه ويتم تسويف القضية من خلالها.
(او يقرأوا تعويذة على عتبتي)... التعويذة لها دلالة السحر او الطاقات الخفية... أي لا يؤثروا عليكِ وعلى وعيك باستعمال التعاويذ أو ربما غسل الأدمغة، فالعتبة هنا رمز للمرأة اختاً كانت بنتاً أم زوجة.
(او يسيروا حفاة نحو قبري)... أي لا تنخدعي بأقنعتهم حيث يتظاهرون بخلع شرورهم واظهار ندمهم بالسير حفاةً نحو قبري.
ليختتم رسالته بالقَسم... بأنه يحفظ (أغنيته الأبدية) أي مبادئه وقيمه التي قُتل لأجلها وبإصراره على الشهادة ونفهم أنه أمر مفروغ منه حيث يقول في جملته الأخيرة(قبل أن اعود للشهادة الثانية).

الغد – أدب وفن

فاطمة الكليدار

ما بك ايها العقل
لماذا لا تكف عن التفكير بهم
لقد رحلوا
وأضحى فؤادي من رحيلهم خائباً
لقد خاب ظني بهم
كنت أظن
وأظن
يا ليت قلبي يصبح تائباً
لقد تعبت من العواصف في داخلي
ليتها تستريح أعصابي
فالقلب أصبح خالياً
مرهقتاً انا من مشاعري
أصرخ من وجعي
وصوتي بات محارباً
سؤالي ماذا يلي؟
ماذا بعد كل هذا؟
صبري عجول والترقب موجع
وروحي لا تفارق غائباً
الندم يبتلعني
لقد اخبرته عن شعور كنت احفظه
يا ليتني قضيت عمري اكتمه
فالبوح يقتل نبض القلب دائماً
.
.
.
.

الغد – من تراث البصـرة

محلــة البجــاري وساحة أم البروم

جمال عابد

من المناطق القديمة والمشهورة في محافظة البصـرة حيث تجد فيها شوارع وازقة تنبض بعطر الماضي.
شوارع ضيقة وأزقة تنبض بعطر الماضي ترتفع تارة وتنخفض تارةً أخرى، دكاكين صغيرة ومقاهي بات كبار السن روادها، جلسوا على كراسيها منذ أن كانوا شبابا، وغيرها من التفاصيل التي اختفى الجزء الأكبر منها وبقي الاسم خالدًا.
محلة البجاري، سميت بهذا الاسم نسبة إلى (عائلة البجاري)، إحدى العوائل البصرية العريقة التي سكنت هذه المحلة، والتي تميزت بموقعها الجغرافي في قلب مدينة البصرة، حيث يجاورها كل من سوق العشار ونهره الجميل، ما أعطى رونقاً متميزاً لهذه المحلة. وعندما تتجول في شوارعها الدهليزية الشكل ترى هنا وهناك بقايا بيوت بصرية تزينها الشناشيل من الأعلى.
كانت مسكنًا لعديد من وجهاء مدينة البصرة آنذاك كعائلة البدر وعائلة المظفر وعائلة الشويلي وعائلة الجوزي وغيرها من العوائل الأخرى، التي بقيت تحتفظ فقط بأسماء في هذه المحلة، أما هي فقد غادرتها كما غادرها الكثيرون.
تفتخر محلة البجاري بأنها ضمت بين كفيها العديد من مشاهير المدينة، فترعرع فيها عدد كبير من الرياضيين، يتقدمهم الشهيد عبدالله رشيد، وكريم علاوي، وآل طاهر عبدالرزاق، وعبدالإله، وعبدالوهاب، والبطل عبدالرزاق جمعة، والبطل سهيل خليل حداد بطل العراق وآسيا في رفع الأثقال، وزبرج سبتي بطل العراق والعالم العسكري في الملاكمة، يضاف لهم أولاد الحاج حسين علي ورياض في كرة السلة. وبعدهم جاء الجوهرة السوداء (عدنان ناجي)، وهناك أيضاً من برز في مجال التدريب مثل ضياء حسين، الذي كان مدرباً وحكماً دولياً في ألعاب الساحة والميدان. و(عبد الصاحب جبا) أول عراقي يرفع الشعلة الأولمبية في أولمبياد (موسكو).

ومن الفنانين كان مطرب المقامات القدير عباس البصري، الذي كان خليفة ناظم الغزالي، والفنان المسرحي (عبد الستار البصري) وغيرهم الكثير.

ولم تقف عند هذا الحد، فلقد تميزت محلة البجاري بمقاهيها الرائعة والجميلة، التي تتسم بالبساطة، وطقوسها البصرية الخالدة، حيث الشاي المهيل، والتتن الكدو، الذي يعانق الجمر أعلى الأركيلة، والحديث يدور هنا وهناك عن حالة المدينة، وعن ماضي المحلة، وما يجري في فلك العراق الجريح.

معظم رواد هذه المقاهي من أهل البجاري، حيث كان يجلس فيها بيكات المحلة وبشواتها، إلا أن الغزو السكاني والتجاري بدأ يضيق حدود محلة البجاري، وبدأت البيوت شيئًا فشيء تتحول إلى مخازن تجارية، ومطابع ومكتبات. وعانت المحلة من الإهمال، وبدأ بريقها بالضمور، حتى تحولت إلى سوق وشوارع، ينقصها عبق الماضي الجميل.

ومن معالمها التي لا زالت باقية لحد الآن هي حسينية (آل فخر الدين).

وما أن تخرج من أي زقاق في ركنها الشمالي، حتى تلاقيك الجارة القديمة لمحلة البجاري، ساحة (أم البروم). هذه الساحة الأكثر ازدحامًا في مدينة البصرة، والتي لا تعرف النوم أبدًا. والبرم هو رأس القدر؛ حيث يقال إن البصرة أصابتها مجاعة، فأتت الجمال محملة بالطعام، واستقرت في هذه الساحة، فسميت هذه الساحة بهذا الاسم نسبة إلى (رؤوس القدور).

وكانت ساحة أم البروم في أول أمرها مقبرة، يدفن فيها أهل العشار موتاهم. بعد ذلك تحولت إلى حديقة في العهد الملكي سميت (بحديقة الشعب)، إلا أن النزوح السكاني بدأ يزحف عليها شيئًا فشيء، حتى تحولت إلى أكبر مرآب في مدينة البصرة، تنطلق منها وسائل النقل إلى مناطق مختلفة.

وتتميز هذه الساحة بمطاعمها الشعبية البسيطة، حيث (التكة والمعلاق) وهي أشهر المشويات التي تباع هناك، حيث يفترش لحم الغنم على مناقل الفحم، وهناك أكلة (الباجة)، التي يحضرها الحاج مرزوق.

وكذلك تشتهر أم البروم بالباعة المتجولين، الذين يطوقون الساحة من كل جهة، وهم يبيعون الفاكهة وقد يكون لهذه الساحة شبيهات أخر في العديد من دول العالم.

الغد – أدب وفن

الرجل الأسطورة في أمة عجيبة

د. عادل أحمد الجبوري

يقال إن طفولة غاندي تلطخت بثلاث خطايا، الأولى أنه تناول اللحم، والثانية أنه اشترى تبغا ودهن، والثالثة أنه انزلق إلى أحد بيوت الهوى، وهذه الخطايا الثلاث، استدعت ثلاث خطايا أخرى، فقد كذب ليخفي آثامه، وسرق ليؤمن مصاريف الهوى، وحاول الانتحار عندما سيطر عليه اليأس، إلا أن الخوف دفعه للاعتراف بكل شيء لأبيه كما ورد ذلك بمذكراته (تجاربي مع الحقيقة). ان غاندي لم يقصد من خطيئة الطفولة لذة بل نشد منها القوة والحرية منذ الطفولة حتى أصبح قائدا لأمة متعددة المذاهب والاطياف والقوميات.

فالطفل يرى نفسه قويا عندما يخالف الممنوعات، وحرا عندما يتحدى الضعف والتقاليد التي تعودها. فقد قاوم ما كان يأمرونه بالعدول عنه وحاول تحطيم الحياة المهنية التقليدية حتى توج دراساته بشهادة لندن ليمارس مهنة المحاماة بنجاح بعد أن تعرض لمحن وخيبات أمل ليصبح بعد ذلك سيدا متمسكا بالعفة والاكتفاء، يأكل النباتات ليكون كائنا خاصا في خضم عظمة الحضارات و الإمبراطوريات الرهيبة التي بسطت سلطانها على البحار والقارات، هذه الإمبراطوريات ومنها الإمبراطورية البريطانية في عهده، اجبرها على التنازل عن كبرياءها بعذوبة (اللاعنف) الذي أفرزته الخطايا الست، وجعلته قوة وسرا، بعد أن أفرزت الخطايا الثلاث ثلاث خطايا أخرى، ورأى غاندي نفسه أن سلوكه سيفصح عن خلق الإنسان الثوري الأكبر الذي يقاوم تلك القطعان المارة المضطربة، والحشود المتبعثرة في الشوارع ورؤوسهم تنحني إلى الأمام، ويتساءل في نفسه هل هم هؤلاء الشعب الغازي الذي يزعم الحرية؟

أنه كان يشعر بقوة، ويسأل نفسه، هل هؤلاء الذين يرقصون في الحرب هم الذين أفسدوا السلم؟ لقد حطمونا في الحرب وارهقونا في السلم، من قاوموهم عملوا، ومن تنازلوا لهم فقدوا مصيرهم كما فقدوا أرواحهم، بل لم يكتف الغزاة، هكذا يقول غاندي، بإخضاع الشعوب فحسب بل ابتاعوها ولم يستثمروا الشعوب بل استعبدوها ودفعوها إلى العمل لمصلحتهم والقتال تحت قيادتهم. الا أنه يراهم أكثر بؤسا وتهالكا على الغزو والحرب. لقد اكتشف غاندي من خلال خطاياه أن الإنكليز مجرد إنسان، هذا الإنسان ذو الشعر الأحمر الذي يمثل وبيده اليمنى شريحة لحم و باليسرى كأس ويسكي، يتصف بالإهمال والندوات، كما أكتشف غاندي من فلسفة (الهند) حيث لاحظ أن الهند تثير في نفوس الإنكليز فضولا شديدا وتجذبهم جذبا لا يقاوم، وكانت بنظرهم لغزا للتأمل و التبجيل، ويشعرون برعشة ورهبة مقدسة من هذا الاسم (الهند) الذين يقفون امامه مسحورين كالخرس، غير أنه شاهد، بل صادف بعض الإنكليز الذين كانوا يشعرون بإعجاب بالهند لا يمكن تشبيهه إلا بالهوى العاطفي الذي يسميه بعضهم بالإقبال الصابر، ويرونه حبا وديانة بغير عبادة وبدون وصاية والتزامات . . لم يحتج على الأولين ولم يعجب بالآخرين، إنما فهم ان فلسفة تقوم على تعاليم ثلاثة تتلخص: ليس هناك سوى حقيقة واحدة هي معرفة الذات، ومن عرف ذاته عرف الاخرين وعرف العالم وعرف الإله. ومن جهل نفسه جهل كل شيء، وليس هناك سوى قوة واحدة وحرية واحدة وعدالة واحدة هي التحكم في الذات. فمن سيطر على نفسه قهر العالم، وليس هناك سوى خير واحد هو (حب الآخرين كحب الذات، أو بمعنى آخر كما لو كانوا ذاتنا) وكل ما بقي وهم وعدم.

ان التحكم في الذات هو مبدئ الحرية وإن سيادة كل فرد في وجدانه الباطني وحدها هي الحقيقة. هكذا كانت الروح العظيمة المهاتما غاندي، أنه النموذج والنمط الفكري والنفسي و السلوكي الذي أفرزته الخطايا الست، حيث كان يصلي من (براهما وآيات من التوراة و من الإنجيل و من القرآن)، ومات بيد متعصب من أبناء ديانته بسبب دفاعه الصادق عن حرية العبادة لأتباع الرسول محمد صل الله عليه وسلم، فلتكن لنا فيسلوك هذا القائد قدوة حسنة ومثال حي خصوصا بعد الاحتلال الأمريكي، وبالأخص هذه الأيام، الذي ينظر إلى العقائد و الأديان كلها على اختلاف أنواعها نظرة احترام وتكريم واخاء، انطلاقا من مبدأ (لتكن ديانتك ما تكون فهذا شأنك وحدك) ولا تتخذ منها ذريعة للتعصب ضد الديانات الأخرى، بل أجعل من جميع أتباعها إخوة لك، وجعل من كل تلك الديانات نطيرا لديانتك في التوجه إلى الله بعيدا عن الانانية و التعصب وفي حب شامل البشرية كافة .. والتكن روح كل منا روح غاندي العظيمة التي تجمع محبة كل البشر واحترام جوهر كل الديانات بعيدا عن المثل الشعبي العام (يأكل ويه الذيب ويلطم ويه الخرفان) او مثل ذلك الرجل (يريدها كبار ...كبار، يريدها صغار ... صغار).

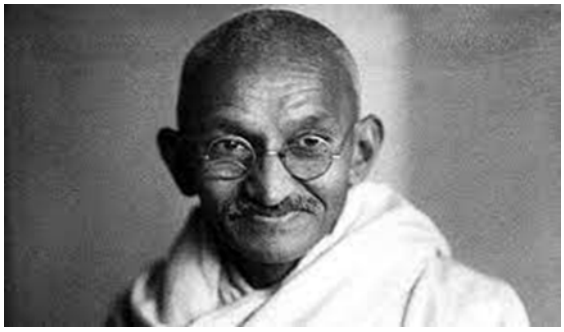

مزاجية امرأة

د. تهاني محمد

عيون المها بين الرصافة والجسر
جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري
أعدن لي الشوق القديم ولم أكن
سلوت ولكن زدن جمرا على جمر.

هذه القصيدة الرقيقة الرائعة للشاعر العربي (علي بن الجهم).
يحكي قصة افتتانه بعيني حبيبته التي تشبه عيني (المها). والمها هو حيوان ثديي يميل إلى البدانة قليلا له قرون وحوافر وللأسف فهو اليوم مهدد بالانقراض.
ما علينا الآن من عالم الحيوان ومشاكل البيئة المعادية فلهذا الموضوع أناسه المدافعون عنه. لكن فقط استفزني التشبيه، فأن كانت عينا حبيبة علي بن الجهم ساحرة وواسعة فلماذا يشبهها بعيني (حيوان) ليثبت صفة الجمال فيها؟ وليس هذا فحسب، فقد دأب الناس منذ بدأ الخليقة على تشبيه جمال المرأة بصفات بديعة في الحيوانات، فيقال للمرأة الرشيقة الطويلة (ناگـة) اي ناقة وهي أنثى البعير، وكذا للمرأة الرشيقة القوية البنية أصيلة النسب (فرس) أنثى الحصان، وفي حالة افتتن أحدهم بامرأة شقراء بعينين ملونتين قال عنها (قطة).
أما المرأة الوديعة المسالمة الرقيقة فينادونها بالـ (الحمامة أو العصفورة).
الحمد لله أننا نفذنا من تشبيهنا بأنثى الشمبانزي والدب والبطريق والغوريلا. فربما فيهن مواضع جمال خافية أيضا!!
ولم يسلم عالم النباتات من التشبيه، فنرى هنالك (غصن البان) و (شطبة الريحان) صفة للمرأة الرشيقة ممشوقة القوام، أما المرأة صبوح الوجه رقيقة المحيا فهي (ورد الجوري أو البنفسج). لكن المعروف أن الإنسان هو أجمل مخلوق على الكرة الأرضية، لأنه الوحيد ذات قوام معتدل ويمشي على اثنين وملامح وجهه متناسقة وكذا الساقين والذراعين وهو الوحيد العاقل والقادر على التفكير والإبداع، وبالطبع ترون من خلال حديثي هذا أنني من مناهضين نظرية التطور لداروين.

وحسب نظرية داروين فإن القردة (الأنثى) الوحيدة منتصبة القامة والتي تمشي على اثنين حيث تم العثور على أحفوريتها في أثيوبيا وأطلق عليها اسم (لوسي) هي امتداد لجنسنا نحن الإنسان العاقل!

لكن كيف تريد مني أن أصدقك يا داروين وأنت تنسبني لجدة يغطي جسمها الشعر ولديها مخالب وعينان غائرتان وقبح لا ينتهي؟! وأقول لك الحقيقة فحتى لو أثبتت نظريتك في يوم ما صحتها فأنا أعلن البراءة من جدتي لوسي المرعبة.

ما علينا فلنكمل حديثنا عن الجمال، من الواضح أن أجمل جنس للإنسان هو أنثاه، فالمرأة خلقت أجمل من الرجل وبهذا نصل الى نتيجة حتمية وهي أن المرأة أجمل مخلوق على وجه الأرض.

نعم هكذا ببساطة، فلماذا إذن حين نريد إثبات جمالها نشبه الأعلى (المرأة) بالأدنى (انثى الحيوان).

حين تسأل هذا السؤال سيجيبك الشعراء والفنانون بأنه علم الـ (سيمياء) وهو علم يدرس انساق العلامات والأدلة والرموز طبيعية كانت أو صناعية. اي أننا نستعمل الرمز للتعبير عن الشيء، وهنا يكون دور علم السيمياء الاجتماعية، كما عرفها فرديناندري سوسور بأنها (علم حياة العلامات في المجتمع).

فلماذا تفرح المرأة حال تشبيهها بالقمر او الشمس وتنزعج ان شبه جمالها بحيوان؟!

فهو استخدام للرموز فحسب (سيمياء)، فما جمال القمر سوى وهم بصري، ضياء منعكس على كوكب موحش كله صخور وحفر وأخاديد يصلنا عبر سفر ملايين السنوات الضوئية فنرى القمر جميلا مبهرا مستديرا مضيئا، وكذا شمسنا الغالية ماهي إلا مجموعة انفجارات وتفاعلات نووية مرعبة نبصرها عن بعد ملايين السنوات الضوئية مشرقة دافئة حنون، فكلها رموز لا أكثر، لكننا كنساء نبقى السر الذي لا يمكنكم فهمه فنفرح بتشبيهنا بالقمر والشمس رغم ان جمالهما وهم بصري لا أكثر، ونتأفف ويهان كبرياءنا عند مقارنة جمالنا بالـ (الحيوانات)، البقرة، الناقة، القطة؛ الغزال، الخ.

فلماذا لا تشبهون جمال الأدنى بالأعلى كأن تقولوا مثلا (هذه القطة جميلة كأنها امرأة شقراء بعينين ملونتين) او يقال (هذه الريم تملك عينين ساحرتين كأنهما عينا امرأة حوراء)؟

لكن إياكم والاسترسال أكثر فتضموا انثى الدولفين والقرد والديناصور إلى الرموز الجمالية فهنا سوف ننضم تظاهرة كبيرة ضدكم ونطالبكم برد الاعتبار والتعويض المالي وقد نقاطعكم وتنامون على الأريكة في الصالون بقية حياتكم.

بالمناسبة فنحن نشعر بالسعادة حين تشبهوننا بالحوريات البحرية رغم إن الحورية كائن خيالي لم يشاهده أحد حتى اليوم وربما تكون بشعة لا نعلم لكننا هكذا نحن النساء مزاجيات ونحن أجمل من المها والغزال والناقة والفرس والقطة على أية حال.

الغد – أدب وفن

بقرة عم جلهوم

د. شاكر صبري محمد

مصر/ خاص

كان عَمِّ جَلْهوم رجلاً طيِّبَ القلب، ولكنه كان فقيرًا جدًا لا يملك غيرَ قطعة أرضٍ صغيرة، وحمار يركبه يذهب به إلى أرْضه ويحملُ عليه أمتعته. لم يرزقه الله بالولد؛ ولكن ماتَ له جار هو وزوجته في حادثٍ وتركا طفلاً صغيراً، لم يجد أحداً يرعاه فأشفق عليه عَمِّ جَلْهوم، وأخذه ليعيش معه في منزله.

كانَ والدُ الطِّفْلِ قد ترك بقرةَ صغيرةً مريضَةً، لم يكن يعتني بها جيداً لأنه كان يعمل أجيرًا في الحقول. فأخذ عَمِّ جَلْهوم البقرة وقام بالاعتناء بها وعالجها حتى أصبحت في أحسن حال.

كان الرجل يضاعف عمله حتى يستطيع أن يشتري علفاً للبقرة.

ومرت الأيام حتى حملت البقرة وأنجبت له بقرة صغيرة (عجلا).

وبدأت البقرة تدر لبناً كثيراً، فتحسنت أحوال عَمِّ جَلْهوم كثيراً.

كان يبيع ما تدره له البقرة في الصباح، وفي المساء كان يتركه لزوجته فتصنع له منه الجبن والزبد والسمن والزبادي.

أمَّا البَقَرَةُ فقَدْ بَنَي لَها وللحِمارِ حَظيرةً صَغيرةً بجوار منزله، وصنع لها باباً متيناً، ولكنه لم يضع على الباب قفلاً، فقد تعوَّدَ عَمِّ جَلْهوم على ذلك، لأنه كان يثقُ في جيرانه.

تعود الحمار على البقرة فلم يعد يأكل إلا حين تأكلُ معه.

وكذلك البقرة تعودت على الحمار فلم تعد تأكل إلا معه.

وذات يوم دخل عَمِّ جَلْهوم الحظيرة فلم يجد البقرة، ولكنه وجد الحمار والعجل الصغير.

ندم ندمًا شديداً لأنه أهمل غلق الباب، وحزن أيضًا لأنه فقد البقرة التي كانت تجلب له الرزق الوفير.

وجلس حزينا في منزله.
قالت له زوجته بدلاً من أن تندب حظك وتجلس مهموماً هيا لنبحث عن البقرة.
قال لها: وكيف أجدها؟
قالت لهُ: أنت تعرف بقرتك جيدًا، قم وفتِّشْ عنها في البقرات الموجودة عند من يسكنون في المكان المحيط بنا، ولن تخسر شيئاً.
ظل الرَّجُلُ يذهب إلى كل مكانٍ يعلم أن صاحبه يقوم بتربية البقر، وكان يخبر صاحب الحظيرة يطلب أن له خبرةً بأمراض البقر المنتشرة وقتها فَيَسْمَحَ له بفحصها ودخول الحظيرة.
وذات مرة وجد الرجل بقرته، فأسرع إليها، وحينما اقترب منها التفت البقرة إليه وظلت تتحرك يمينا ويساراً فتاكَّدَ أنها بقرته، ولكنها كانت هزيلة جدًا، لأنها لم تعد تتناولُ طعاماً، فقال لصاحب الحظيرة: إنَّ هذه بقرتي، فأعطها لي.
ولكن الرَّجُلَ أنكر ذلك.
فكر عَمِّ جَلْهوم مليَّاً ثم قال له: سوف أقودك إلى الشرطة إن لم تعطني إياها.
فقال الرَّجُلُ: وما الَّدليلُ علي أنها بقرتك؟

قال له: هيا نأخذها إلى حظيرتي، وانظر إلى حالها مع الحمار، وإلى ابنتها البقرة الصغيرة.
قال الرجلُ: سوف نتأكد من كلامك.

وأخذا البقرة إلى الحظيرة، وبمجرد أن رأت باب الحظيرة دخلت مسرعةً وظلت تمسح في ابنتها الصغيرة، وبدأت تأكل مع الحمار فرحةً بعودتها إليهم.

اِنصرف الرجل وقد تأكد أنها بقرة عَمِّ جَلْهوم.

أما البقرة فقد عادت إلى حالتها الطبيعية بعْدَ أيَّام من عودتها إلَي حَظيرتِها.

شكر عَمِّ جَلْهوم الله على عودة بقرته إليه، وقام بوضع قفلٍ متين على باب الحظيرة؛ حتى لا يقعَ في نفس الخطأ الذي وقع فيه قبل ذلك.

ت	المادة	الكاتب	الباب
١	الافتتاحية	رئيس التحرير	
٢	الشيوعي العراقي يحيي مقاومة	المكتب السياسي	سياسة
٣	توجهات تحالف قيم	تحالف قيم	=
٤	الديمقراطية في العراق	قاسم حنون	=
٥	وأدوا ميناء الفاو الكبير	باسم محمد حسين	=
٦	أهمية العلاقات الدولية للعراق	علي عبدالواحد محمد	=
٧	الاشتراكية. مشروع تطوير	د. ماهر الشريف	=
٨	الثالث من اكتوبر	حميد الأمين	=
٩	الثورات والانتفاضات	الغــد - متابعات	=
١٠	هل يعيد التاريخ نفسه؟	تقديم عادل رحيمة	=
١١	هجوم حماس. صدمة، فشل، كابوس	جلال بن عباس	=
١٢	تجربة كمال يلدو الاعلامية	يوسف ابو الفوز	مجتمع
١٣	بين المثقف وزعيمه	استذكار حميد المدهوش	=
١٤	البصرة بن الماضي والحاضر	طارق العبودة	=
١٥	سرّ السعادة	الغــد - متابعات	=
١٦	الأهرامات	الغــد - متابعات	=
١٧	السلطانة والحمار	من الماضي	=
١٨	**صَدَمات ومُعادَلات**	محمد خضير	ملف العدد
١٩	البدون	جميل الشبيبي	=
٢٠	علمني اسماعيل	محمد جواد أبو مازن	=
٢١	اسماعيل والقضية الفلسطينية	توفيق الهندال	=
٢٢	اسماعيل هو اسماعيل	شمائل بهبهاني	=
٢٣	لا للعصا. نعم لطرق التربية	شاكر مجيد الشاهين	تربية وتعليم
٢٤	ما هي الحاسة السادسة؟!	د. هاشم عبود الموسوي	طب وعلوم
٢٥	داء الشقيقة	الصيدلاني جبار وادي	أدب وفن
٢٦	حسين كاكائي. عين تكشف	محمد الجزائري	=
٢٧	تأشيرة دخول	د. هاشم عبود الموسوي	=
٢٨	طبكة الجامعة	عامر العيداني	=
٢٩	سجل ديون الزبون ع	د. يسر الفرطوسي	=
٣٠	قراءة في قصيدة	ايثار محسن	=
٣١	مابك أيها العقل	فاطمة الكليدار	=
٣٢	محلة البجاري	جمال عابد	=
٣٣	الرجل الاسطورة ٠غاندي)	د. عادل الجبوري	=
٣٤	مزاجية أمرأة	د. تهاني محمد	=
٣٥	بقرة العم جلهوم	د. شاكر صبري	أدب الطفل

شركة السعفة الذهبية

سفرات سياحية . تذاكر طيـــران

حجوزات فنـــادق . تأمين صحي